البابا أوربان الثاني (ت ١٠٩٩م)

والفقيه علي بن طاهر السلمي (ت ١١٠٦م)

دراسة مقارنة من عصر الحروب الصليبية

ا.د. محمد مؤنس عوض

أستاذ تاريخ العصور الوسطي بجامعتي عين شمس والشارقة

يتناول هذا البحث بالدراسة ، التعريف بكل من البابا أوربان الثاني [١] Urban II (١٠٨٩– ١٠٩٩م) ، والفقيه عليبن طاهر السلمي [٢] (١٠٣٩– ١١٠٦م) ، وىتعرض لاسهامهما فى مجال تاريخ الحروب الصلىبية من خلال الدعوة لها من جانب الأول ، ومواجهتها من خلال الجهاد بالنسبة للثاني ويتم عقد المقارنة بينهما.

تواجه الباحث في الموضوع المذكور عدة مصاعب ، فهناك الاختلاف بين الباحثين حول النص الأصلي لخطاب البابا أوربان الثاني في مجمع كلير مونت بجنوبي فرنسا في ٢٧ نوفمبر عام ١٠٩٥م ،دون إمكانية التوصل إلي رأي مؤكد فيما يتصل بذلك النص البالغ الأهمية الذي كان فاتحة الحروب الصليبيين التي يعرفها البعض بأنها الحرب العالمية في العصور الوسطي .

كذلك قد يتصور البعض من خلال عنوان البحث أن التاريخ يتحرك من خلال الفردية الصرفة ، على الرغم من أهمية الظروف السياسية والاقتصادية ، والاجتماعية ، والثقافية ودورها في صياغة الأفراد والجماعات وتوجهاتهم في صنع أحداث عصرهم ، وعصر الحروب الصليبية خير دليل علي صحة ذلك .

بصفة عامة ، يتطلب الأمر التعرض إلي أبرز الدراسات السابقة التي تناولت الموضوع مع ملاحظة عدم خلو أية دراسة عن بداية تاريخ الحروب الصليبية ، بأية لغة من لغات العالم دون التعرض لأوربان الثاني ودعوته في المجمع المذكور، هكذا فإننا نركز هنا علي الدراسات المتخصصة التي تناولت موضوع بحثنا بصورة جزئية بطبيعة

الحال نظراً لعدم عثوري علي دراسات مستقلة عنه باللغة العربية وذلك من خلال اهتماماتي الببليوغرافية .

فهناك مقالة المؤرخ الأمريكي الرائد دانا مونرو Dana Munro عن خطاب البابا أوربان الثاني التي نشرها في المجلة التاريخية الأمريكية ، في العدد الحادي عشر عام ١٩٠٧م ، ص ٢٣١ – ص ٢٤٢

D. Munro , "Speech of pope Urban II at Clermont , 1095" , A. H.R. , XI, 1907,PP.231-242.

وهى على جانب كبير من الأهمية حيث قارن ذلك المؤرخ بين نصوص المؤرخين المعاصرين الذين تناولوا تلك الخطبة ، ومع ذلك من الممكن الإدلاء بدلونا خاصة أنها كتبت من (١٠٧) عاماً دون النيل من ريادتها .

لا نغفل كذلك جهد عز العرب سليمان ، في بحث بعنوان الخطاب الديني المتطرف في العصور الوسطي : دراسة تحليلية لخطاب البابا أوربان الثاني في مجمع كلير مونت ١٠٩٥م ، مجلة كلية الآداب – جامعة أسيوط عدد (١٤) إبريل عام ٢٠٠٣م ، ص١٢١– ص١٨١.

هناك أيضاً دراسة أعدتها الباحثة نجلاء حسين محمود بعنوان : البابا أوربان الثاني (١٠٨٩–١٠٩٩م) وهي رسالة دكتوراه غير منشورة ، بكلية الآداب – جامعة سوهاج عام ٢٠٠٨م وهي الدراسة الأكاديمية الوحيدة باللغة العربية التيتناولت عهد ذلك البابا من كافة جوانبه وليس فقط من خلال دوره فيالدعوة للحركة الصليبية.

ولا نغفل كذلك أهمية جهد المؤرخ البارز حسن عبد الوهاب في بحثه بعنوان دراسة تحليلية لخطب البابا أوربان الثاني في مجمع كلير مون (١٨–٢٧ نوفمبر ١٠٩٥م)، مجلة كلية الآداب – جامعة الإسكندرية عدد (٥١) ، عام ٢٠٠١م ، ص١١٩–ص١٤٩.

كذلك نذكر جهد المستشرق اليهودي الفرنسي عمانويل سيفان ودراسته عن كتاب السلمي والتي نشرها في الجريدة الآسيوية عام ١٩٦٦م فكان بذلك رائداً في الاهتمام بعمل السلمي ، عنه أنظر :

E. Sivan , Genese de la Contre - Croisade , un Traite damasquin du debut du XIIe Siecle , J. A., 254, 1966,PP .197-224.

جدير بالذكر ، حرص بعض المستشرقين علي دراسة حركة الجهاد عصر الحروب الصليبية لأنها تعبر عن الاستجابة الإسلامية للتحدي الصليبي ،وتمثل دوماً مخزوناً تاريخياً علي نحو يحفز المسلمين في العصر الحديث لمواجهة الإمبريالية الغربية.

يضاف إلي ذلك بحث قام به مؤرخان أمر يكيان هما نيل كريستي وديبورا جيرش بعنوان دعاة متوازيان ، أوربان الثاني والسلمي ،وقد نشرت في مجلة المساق – العدد (١٥) عام ٢٠٠٣م ، ص ١٣٩–ص ١٤٨.

N. Christie and D. Garish, Parallel preaching's: Urban II and al- Sulami, Al-Masaq , 15- 2 , 2003, PP. 139-148.

وتعد المقالة المذكورة من أهم ما كتب في موضوع بحثنا وهي ذات طابع ريادي إلا أن هناك بعض أوجه النقد توجه إليها ، ومن أمثلتها الاهتمام بجانب أوربان الثاني أكثر من السلمي ، كما أنهما اعتمدا علي مخطوطة الظاهرية من كتاب السلمي قبل تحقيقها من جانب المؤرخ البارز سهيل زكار عام ٢٠٠٧م .

مهما يكن من أمر ، علينا تناول التعريف بأوربان الثاني والسلمي ، ثم خطبة الأول وكتاب الثاني ، ثم عقد المقارنة بينهما من حيث أوجه التشابه وكذلك الاختلاف بين دور البابا والفقيه المذكورين .

أما أوربان الثاني Urban II ؛ فنعرف أنه يدعى Odo أو (Eudes) ، وقد ولد عام ١٠٣٥م في شاتيون – سير – مارين Chaillon- Sur -Marne بفرنسا من عائلة ذات أصل نبيل ،ودرس علي يدي القديس برونو St. Bruno (١٠٣٢– ١١٠١م) في ريمز Rheims، وقد صار في السلك الكنسي هناك ومن عام ١٠٦٨م، صار راهباً في كلوني Cluny بالقرب من ماكون Macon ، وألتحق بخدمة البابا جريجوري السابع[٣] Gregory VII (١٠٧٣– ١٠٨٥م) وصار أسقف كاردينال لأوستيا Ostia، وخدم في ألمانيا بين عامي ١٠٨٤– ١٠٨٥م ، وقد دعم شرعية البابا جريجوري السابع خلال صراعه مع الإمبراطور هنري الرابع[٤] Henry IV (١٠٥٦– ١١٠٦م) ، وقد تم انتخابه بعد تأخير طويل في تراسينا Traracina الواقعة إلي الجنوب من روما Rome بالقرب من جايتا

Gaeta، حمل اسم أوربان Urban ،وواجه عداء الإمبراطور المذكور وبذل قصاري جهده من أجل دعم نفوذه لمواصلة سياسة الإصلاح التي قادها قدوته البابا جريجوري السابع ، ولا نغفل هنا ملاحظة الأوامر البابوية [٥] Dictatus Papae التي تنسب لذلك البابا، والتي تدل علي تصوره لنفوذ الجالس علي كرسي القديس بطرس ST. Peter[٦] في روما ، كما لا نغفل حرص ذلك البابا علي مواجهة زواج رجال الدين وكذلك السيمونية أو بيع المناصب الدينية .

واجه ذلك البابا بعض الصعاب مع إنجلترا حيث حكمها الملك وليم الثاني William II (١٠٨٧- ١١٠٠م) الذي تولي العرش بعد نحو عقدين فقط من معركة هاستنجز ١٠٦٦م و

انتصار وليم الفاتح William The Conqueror فيها علي السكسون ، وقد حدث صراع بين ذلك الملك وأنسلم أوف كانتربري Anselm of Conterbury (١٠٩٣- ١١٠٩م) ويقال أنه لم

يصل إلي قرار نهائي في النزاع بينهما ، أما في فرنسا ، فقد تعامل مع الملك فيليب الأول Philip I (١٠٦٠- ١١٠٨م) فيما يتصل بزواجه المنطوي علي الزنا ، وقد وجد دعماً متزايداً من أجل

الإصلاح البابوي وسياسات البابوية ، وفي إسبانيا دعم حرب الاسترداد الإسبانية Reconquesta ضد المسلمين أما في إيطاليا ؛ فقد كان النورمان Normans هم حلفاؤه في جنوبي إيطاليا وصقلية Sicily.

ولا نغفل قيامه بدور ريادي في الدعوة للحروب الصليبية وهو أمر سنتناوله بعد قليل .

توفي أوربان الثاني في يوم ٢٩ يوليو ١٠٩٩م بعد أسبوعين من استيلاء الصليبيين علي بيت المقدس في ١٥ يوليو ١٠٩٩م ، وفيما بعد ؛ تم تطويبه (أي تم اعتباره مع الأبرار الذين سينعمون بالخلود من وجهه نظر الكنيسة) وذلك من جانب البابا ليو الثالث عشر Leo XIII (١٨٧٨- ١٩٠٣م) في عام ١٨٨١م بعد نحو ٨ قرون علي رحيله ،

وصار عيده موافقاً ليوم ٩ يوليو [٧] ؛ مما دل علي مكانته البارزة التي احتلها في تاريخ الكنيسة في العصور الوسطي وصولاً إلي العصر الحديث .

أما فيما يتصل بالفقيه السلمي ؛ فنعرف أنه علي بن طاهر بن جعفر بن عبد الله أبو الحسن القيسي السلمي النحوي الدمشقي [٨] ولا نملك معلومات وافية عنه وعن عائلته ، إلا أننا نعلم أنه ولد عام ١٠٣٩م في دمشق قبل (٦٠) عاماً من غزو الصليبيين لبيت المقدس وبالتالي كان كهلاً عندما عاصرها وقد تركت – كما هو مرجح – أبلغ الأثر في نفسه شانه في ذلك شأن المسلمين المعاصرين

وقد تنوعت معارف السلمي حيث عُرف بعلمه في علوم اللغة العربية ، وخاصة النحو، وكذلك الشعر، وقام برواية الحديث النبوي مما دل علي موسوعيته وهو طابع عام لعلماء ذلك العصر من المسلمين .

عاش السلمي في مدينة دمشق حيث أمضى فيها معظم حياته ، وتنقل منها إلي مناطق أخرى في بلاد الشام حيث سافر إلي صور بجنوبي لبنان ، كما كانت له اتصالاته ومراسلاته خارج بلاد الشام حيث ورد ت إشارة إلي تراسله مع علماء أصبهان [٩] ، ومن المفترض أن ذلك كان من خلال الرغبة في استجلاء بعض الجوانب العلمية ذات الاهتمام المشترك .

ألف السلمي مؤلفات منها كتاب عن الشيوخ الذين أخذ عنهم العلم وكتاب الجهاد[١٠]، وإذا كان الأول لم يصل إلينا ، إلا أن الثاني وصل علي نحو شبه كامل ، ويعد أول كتاب عن الموضوع المذكور بعد وصول الصليبيين إلي بلاد الشام في أخريات القرن ١١م .

درس السلمي علي أيدي عدد من المشايخ البارزين نذكر منهم: احمد بن عبد الرحمن الطرائفي (ت ١٠٦٤م) ، وأحمد بن عبد الواحد بن محمد بن احمد السلمي (ت ١٠٧٦م) ، وأحمد بن محمد بن عمر القزويني (ت ١٠٥٧م) ، وأحمد بن منصور بن محمد بن عبدالله الغساني (ت ١٠٧٥م) ، والحسين بن مبشر بن عبيد الله المري المقري (ت ١٠٦١م) ، والحسين بن محمد بن إبراهيم بن الحسين الحنائي (ت ١٠٦٦م) والحسين بن محمد بن أحمد بن الحسين بن أحمد بن علي بن محمد بن إبراهيم القحطاني الأنطاكي (ت ١٠٧٦م)، والخضر بن عبيد الله بن الحسين المري السمسار (ت ١٠٧١م) وزيد بن علي بن عبد الله الفارسي النحوي (ت ١٠١٣م) [١١] ، وغيرهم .

لقد دل ذلك علي تعدد شيوخه الذين ساعدوه في تكوينه العلمي كما يؤكد علي حرصه علي تنويع مشاربه العلمية وبذله الجهد من أجل تحقيق ذلك . وقد توفي السلمي بدمشق عام ١١٠٦م [١٢] بعد سبع سنوات من دخول الصليبيين بيت المقدس، واستيلائهم علي العديد من مدن الساحل مثل يافا ، وعكا ، وغيرها من المدن الشامية ، وبذلك يكون السلمي قد عاش (٦٧) عاماً ، وفي تقديري أن أصعب أعوام عمره هي تلك الواقعة بين عامي ١٠٩٩، ١١٠٦م حيث عاصر تساقط المدينة المقدسة وكذلك العديد من المدن الساحلية الأخرى هو أمر قاس بكل المقاييس خاصة مع تقدمه في العمر .

ذلك أمر التعريف بكل من البابا أوربان الثاني ، والفقيه السلمي ، أما دور كل منهما ، فنبدأه بتناول دور البابا المذكور في الدعوة للحروب الصليبية .

ولكي نتفهم الدور الذيقام به أوربان الثاني في سبيل الدعوة للحروب الصليبية، يتطلب منا ذلك التعرض لنشأة وتطور فكرة الحرب المقدسة BellumSacrum

وبداية ، من المعروف أن المسيحية ديانة مسالمة وهو أمر يتضح من خلال نصوص الكتاب المقدس Bible خاصة العهد الجديد NewTestament حيث نجد ما نصه: سمعتم أنه قيل عين بعين وسن بسن ، وأما أنا فأقول لكم لا تقاوموا الشر بل من لطمك علي خدك الأيمن فحول له خدك الآخر أيضاً (متي٥: ٣٨ – ٤٠) ولكن فيما بعد تم تحريب المسيحية ، وهو أمر نجد صداه لدي القديس

أوغسطس [١٣] St . Augustin (٣٥٤-٤٣٠م) وقد اتجه إلي أن يضع قواعد لما يعرف بالحرب العادلة Bellum Justum ومن شروطها :

أولاً: توافر سبب عادل Causa Justa من أجل شن الحرب وعادة ما يكون ذلك السبب عملاً ضاراً قام به الآخرون ضد المسيحيين .

ثانياً: أن يرتكز قرار الحرب علي سلطة شرعية auctorites pricipis وعادة ما تكون هذه السلطة علمانية بصورة طبيعية .

ثالثاً: سلامة القصد intentvo recta ؛ أي يجب علي كل من يشارك في الحرب أن تكون دوافعه نقية ، كما ينبغي أن تكون الحرب بمثابة الوسيلة الوحيدة المتاحة من أجل تحقيق هدف ينطوي علي العدالة [١٤].

وهناك من يقرر أن أهم ما احتواه فكر القديس أوغسطين ؛ اشتراطه أن تكون الحرب من أجل تأمين السلام Pax ومن الضروري أن تحتوي علي إعلان عن شنها ، وتكون ضرورية لخوضها ولا مفر منها ولابد من ارتباطها بأخلاقيات خاصة [١٥] .

من جهة أخرى ،يري البعض أن القديس اوغسطين كان قد تأثر في بعض أفكاره بشان الحرب العادلة بأفكار المشرعين الرومان القدماء مثل شيشرون Cicero وتصوراتهم بشأنها [١٦] .

كما لا نغفل إشارته إلي أن الحرب التي تشن من أجل أمر مقدس هي علي نحو مؤكد حرب عادلة ، وفي تصوره أن الحرب في هذه الحالة يكون الرب قد أمر بشنها ، وحيث أن حروب الرب عادلة ؛ فإن الحكام لذلك لديهم الحق في شنها من أجل الدفاع عن الحق [١٧] .

كذلك لا نغفل أهمية التصور الذي قال به المؤرخ الألماني إردمان Erdmann عندما أتجه إلي القول بفكرة المؤثرات الجرمانية الحربية ودورها في دعم فكرة الحرب المقدسة وتطويرها في كيان المسيحية [١٨] ، وقد اتسمت القبائل الجرمانية بصفات حربية غالبة، ولذلك حدثنا المؤرخ تاكتيتوس Tacitus عن ذلك الجانب في الشخصية الجرمانية[١٩] ، ويري البعض أن الشعوب الجرمانية نفسها لم تكن لتقبل أن تتجه نحو المسالمة في مواجهة أعدائها ، ذلك أن تراثها في الغرب الأوروبي مجد الصفات العسكرية ولا مراء في أن ذلك دعم فكرة الحرب المقدسة في المسيحية بعد إعتناق تلك الشعوب لها .

من جهة أخرى ، سعى عدد من بابوات روما إلي تطوير فكرة الحرب في المسيحية خاصة خلال النصف الثاني من القرن الحادي عشر الميلادي ، ونجد ذلك واضحاً في صورة البابا ليو التاسع IXLeo (١٠٤١- ١٠٥٤م) ، الذي شارك شخصياً في بعض العمليات العسكرية ضد عناصر

العصاة من التسكانيين في كامبانيا Campania بإيطاليا ، ويقال أنه شارك علي رأس قوة من الفرسان الألمان عام ١٠٥٣م إلا أن حملته عليهم باءت بالفشل [٢١] .

أما البابا إسكندر الثاني Alexander II (١٠٦١-١٠٧٣م) فقد اتجه إلي منح المحاربين المسيحيين الذين قاموا بقتال مسلمي الأندلس غفراناً عن ذنوبهم ، وأعلن أن ذلك القتال الذي يقومون به ما هو إلا تكفيراً من جانبهم عن خطاياهم ، وبالتالي دعم ما عرف بمصطلح حرب الاسترداد الأسبانية Reconquesta[٢٢] .

أما بالنسبة للبابا جريجوري السابع Gregory VII (١٠٧٣- ١٠٨٥م) فيعد صاحب مكانة بارزة في تطوير فكرة الحرب المقدسة ، وهناك من يقرر أنه عمل علي أن يكون العالم المسيحي متحداً ، وقد سعى ما وسعه السعي نحو تحقيق قيام ذلك عن طريق القوة المسلحة [٢٣] ، وقد اعتقد ذلك البابا أن أولئك الذين يقتلون في المعارك دفاعاً عن الكنيسة ضد أعدائها ؛ يتخلصون من ذنوبهم وآثامهم [٢٤].

تجدر الإشارة إلي أن جريجوري السابع استخدم عبارة جيش المسيح Militia Christi للمرة الأولي بالمعنى الدنيوي ، ولدينا ثلاث وثائق تعبر عن تصوره في هذا المجال ، وتتمثل في خطاب مؤرخ ب٢ فبراير ١٠٧٤م إلى الكونت وليم الأول أمير بورجوني William I ofBourgogne من أجل نجدة الكنيسة ومحاربة المسلمين الذين يهددون القسطنطينية Constantinople، عاصمة الإمبراطورية البيزنطية Byzantine Empire ،كذلك هناك خطاب آخر في مارس من نفس العام يدعو فيه كافة الراغبين في الدفاع عن العقيدة لنجدة العاصمة البيزنطية ، أما الخطاب الثالث فهو خطاب شكر يوجه إلى الكونت وليم السادس أمير بواتييه William VI of Potiers لما قدمه من خدمات للدفاع عن مسيحيته .

أما الوثيقة الرابعة فتتمثل في خطاب من ذلك البابا إلي الإمبراطور الألماني هنري الرابع Henry IV (١٠٥٦- ١١٠٤م) إمبراطور الإمبراطورية الرومانية المقدسة HolyRoman Empire بتاريخ ٧ ديسمبر ١٠٧٤م يخبره فيه باستعداده للمسير لنجدة الإمبراطورية البيزنطية التي اضطربت أمورها في أعقاب كارثة مانزكرت عام ١٠٧١م[٢٥] ، إلا أن الصراع الذي حدث بين البابوية والإمبراطور ، حينذاك أوقف توجهات ذلك البابا في المجال المذكور .

من ناحية أخرى ، هناك من يقرر أن الكونت روجر الصقلي Roger of Sicily طلب الغفران من جانب الكنيسة الرومانية قبل القيام بحملات ضد المسلمين في صقليه لذا أرسل البابا جريجوري

السابع إلي رئيس الأساقفة أرنالد أوف أكرينزا Arnald of Acerenza يستحثه للقدوم إليه وإذا وجد ه نادماً تماماً عليه أن يغفر له ونفس الأمر بالنسبة لجنوده [٢٦] .

هكذا ، يمكننا القول بانه ذلك البابا أحدث تغييراً عميقاً فيما يتصل بالموقف المسيحي تجاه حمل السلاح ، وقد جهز الأرض من أجل القيام بالحروب الصليبية ، وقد مهد الطريق الذي سيسلكه البابا أوربان الثاني (١٠٨٩-١٠٩٩م) في مشروعه الصليبي وقد تمكن من جعل الحرب الصليبية لتحرير الشرق من الكفار- من وجهة نظره - وكذلك لتحرير الصليبيين من ذنوبهم [٢٧] ، ومن الممكن القول بأن أروبان الثاني كان بالفعل تلميذاً وامتداداً للبابا جريجوري السابع .

واقع الأمر ، ظهر الأتراك السلاجقة في ساحة الأحداث في منطقة الشرق الأدنى في القرن ١١م ، وتمكنوا من تغيير خريطة الجغرافيا السياسية من خلال كفاءتهم العسكرية وإسقاط حكم البويهيين الشيعة في العراق .ثم تمكنوا من إلحاق الهزيمة الفادحة بالإمبراطورية البيزنطية في معركة مانزركرت Manzikert[٢٨] عام ١٠٧١م بقيادة السلطان ألب أرسلان (١٠٦٣- ١٠٧٢م) في مواجهة الإمبراطور رومانوس الرابع ، ديوجينيس Diogenes Romanus IV (١٠٦٧- ١٠٧١م) وجيشهو كانت هزيمة فادحة لتلك الإمبراطورية ، وقضت علي آمالها في استعادة آسيا الصغرى Asia minor ، ومن بعدها بدأت ترسل استغاثاتها للغرب الأوروبي ؛ من أجل معاونتها لمواجهة الضغط العسكري السلجوقي المتنامي ولتوريط الغرب في قضاياها بحيث تكون هي بمنأى عن الخطر بصورة مباشرة إلا أن الأمور فيما بعد سارت في غير ما أرادت .

واتجه بابا روما أوربان الثاني إلي عقد مجمع كنسي بإيطاليا في مدينة بياكنزا [٢٩] Piacenza في مارس عام ١٠٩٥م ؛ إلا أنه أخفق في الدعوة للحرب الصليبية .

أدرك البابا بعد فشل مجمع بياكنزا في إيطاليا أن عليه الاحتماء ببني جلدته من الفرنجة في فرنسا ؛ موطنه الأصلي وبالفعل عقد مجمعاً كنسياً في مدينة كلير مونت فران Clermont Ferrant بجنوب شرقي فرنسا علي مدى عشرة أيام ١٨-٢٧ نوفمبر عام ١٩٠٥م ؛ لمناقشة قضايا كنسية متنوعة ، وفي اليوم العاشر من عقده ؛ اتجه البابا إلي الدعوة إلي الحرب الصليبية ضد المسلمين ، وقد تصور قطاع من المؤرخين أن البابا فاجأ مستمعيه بذلك الأمر.

تجدر الإشارة إلى افتقادنا للنص الأصلي لخطاب البابا ، ومع ذلك ، ورد أمره لدي أربعة من المؤرخين هم : فوشيه الشارتري Fulcher of Chartres[٣٠] ، وروبيرت الراهب Robert The Monk [٣١] ، وبولدريك الدولي Baldric of Dol [٣٢] ، وجبرت النوجنتي Guilbert of Nogent [٣٣]

ولا نغفل ذلك أمر مؤرخ الجستا Gesta المجهول ، وهو من الجنود المصاحبين للزعيم النوراني بوهيمند Bohemond ، والذي أشار إلي أن البابا أوربان الثاني قدم لمستمعيه فرصة من أجل خلاص روحهم [٣٤] وفق تصورات ذلك العصر .

أما فوشيه الشارتري (ت ١١٢٧م) والذي يوصف بأنه كاتب الحوليات الأبكر عن غيره في هذا الصدد ، فربما حضر مجمع كلير مونت وهو نفسه سافر كشابلين Chaplain للملك بلدوين الأول Baldwin I (١٠٥٨- ١١١٨م) ، وقد بدأ فوشيه الشارتري روايته بعد الاستقرار في بيت المقدس في خريف عام ١١٠٠ أو ١١٠١م ويغطي كتابه تاريخ بيت المقدس Historia Hierosolymitana أحداث الحملة الصليبية الأولي ، وفيما بعد ، أضاف معلومات عن التاريخ الباكر للإمارات الصليبية ، وفي عام ١١٢٤م ، راجع عمله ، وواصل الأحداث في الشرق حتى عام ١١٢٧م [٣٥].

وهناك من يقرر أن ذلك المؤرخ علي الرغم من أنه قام بتحديث تاريخه عن الإمارات الصليبية ، إلا أنه يبدو قد أضاف تعديلات علي راويته عن البابا أوربان الثاني، ووفقاً لما ذكرته الباحثة بني كول Penny Cole فإن أسلوب فوشيه في تقريره reportatio يفترض معه أنه إما سمع الدعوة أو اتصل بإشارات من شاهد عيان [٣٦].

تجدر الإشارة إلي أن المؤرخين الثلاثة الآخرين كتبوا رواياتهم عن دعوة البابا مضيفين جوانب نظرية ودينية لم يتعرض لها فوشيه الشارتري في كتابه ، وتعليل ذلك أن الثلاثة عقود التالية علي إلقاء خطاب البابا والنفسية العامة المنتظرة لدي الصليبيين خاصة بعد نجاح الحملة الأولي ؛ جعلت المؤخين الصليبيين يضيفون إلي نص الخطاب تقديراً لصاحبه .

– ونجد أن روبرت الراهب قد كتب مؤلفه تاريخ بيت المقدس Historia Iherosolymitana حوالي عام ١١٠٧ أو ١١٠٨م وباعتباره رئيس رهبان دير القديس ريمي St. Remi فقد حضر مجمع كلير مونت إلا أنه لم يقدم لنا خطبة البابا حرفياً ، وقد تعرض للجوانب العاطفية المتصلة بالحروب الصليبية [٣٧] .

أما بولدريك الدولي (ت ١١٣٠م) فقد أورد دعوة البابا من خلال تجربته الشخصية وقد حضر المجمع كرئيس رهبان بور جويل Bourgeuil وعلي الرغم من أن بولدريك ربما كان مؤيداً لأسلوب روبرت الراهب إلا أن كلاً منهما عمل علي نحو مستقل، وقد ألف بولدريك روايته عام ١١٠٨م ، وأعاد عمل مؤلف الجستا المجهول وأضاف بعض المادة الجديدة وتناول الأثر الذي أحدثته دعوة البابا [٣٨] .

وإذا ما أتجهنا صوب جيبرت النوجنتي (ت ١١٢٤م) ؛ وهو آخر مؤلفي الحوليات الأربعة نجده ألف كتابه Gesta dei per Francos فيما بين عامي ١١٠٤ ، ١١٠١م ثم راجعها حوالي عام المذكور وبالتالي اعتمد علي روايات شهود العيان، وعلي التنقيح والزيادات التي قام بها فوشيه الشارتري [٣٩] .

تجدر الإشارة إلي تشابه الروايات التاريخية علي الرغم مما فيها من جوانب للاختلاف ، ومع ذلك من العسير للغاية للتوصل إلي النص الأصلي لخطبة البابا لعدم وجود من كتبها فور إلقائها حرفياً .

وعلي الرغم من وجود هذه الثغرة المصدرية ، إلا أن افتقادنا لذلك النص جاء محفزاً للعديد من المؤرخين المحدثين من أجل الافتراض والمناقشة والتحليل للتوصل إلي الأفكار الأساسية التي أوردها البابا ونجد ذلك واضحاً منذ عام ١٩٠٧م – وهو عام

إصدار دانا مونرو لمقالته – حتى يومنا هذا ، مما أعطي الأمر حيوية علمية خاصة بصورة كاملة لدي المؤرخين المحدثين .

بصفة عامة ، هناك من يقرر أن المؤرخين السالفي الذكر أوضحوا أن البابا عرض أمراً لم يكن مجرد حرب أو غزو ، بل هناك العناصر الدينية التي دلت علي أن رأس الكنيسة ممثلاً في البابا صار مشتركاً في القضية من خلال الإرشاد الروحي (٤٠) ، ومنطقي أن ذلك دعم فكرة أن الحروب الصليبية في بعض تعريفاتها هي السياسة الخارجية للبابوية Foreign policy of The papacy ، كما أن هناك من وصفها بأنها فعله كنسية أو بالفرنسية Action d, Eglise وهو تعبير يعني أن الحروب الصليبية خططت لها وهندستها المؤسسة الكنسية حينذاك جدير بالذكر ، ألقي البابا خطابه الذي استغرق زمناً قصيراً ، إلا أن آثاره كانت من العمق في تاريخ الغرب الأوروبي في العصور الوسطي وتاريخ العلاقات بين الغرب والشرق خلالها بحيث يعد من أهم الخطب التي قيلت في تلك العصور .

أما أهم عناصر الخطاب التاريخي المذكور فيمكن إيجازها علي النحو التالي :

أولاً : اتجه البابا إلي مخاطبة جنس الفرنجة تحديداً وذكرهم بالنعم التي منحها الله لهم في صورة خيرات بلدهم ، وقوتهم الجسدية ، واتجه إلي مخاطبة ذاكرتهم التاريخية من خلال الإشارة إلي أن منهم شارل مارتل Charles Martel الذي ألحق الهزيمة بالمسلمين في معركة Tours أو بواتييه Poitiers (بلاط الشهداء) عام ٧٣٢م ، وكذلك شارلمان Carolus Magnus الذي قام بحملته علي مسلمي الأندلس عام ٧٧٨م (٤١) ، وهكذا فإن ذلك البابا كان عارفاً بالأحداث التاريخية الرئيسية في علاقات الإسلام والمسلمين بالغرب الأوروبي حتى أخريات القرن الحادي عشر م ، وأدرك أهمية إحياء الذاكرة الجماعية وحشدها ؛ من أجل ضمان نجاح المشروع الصليبي المرتقب .

ثانياً :اتجه البابا إلي القول بورود أخبار سيئة من الشرق عن عناصر جيش ملعون وكان يقصد بذلك عناصر الأتراك السلاجقة الذين حولوا كنائس المسيحيين إلي إسطبلات لخيولهم ، وذبحوهم ولذلك ينادي دمهم المراق في الشرق إخوانهم المسيحيين من أجل

إنقاذهم ،و لاشك أن مثل تلك العبارات الحماسية كان من شانها إشعال نفوس الحاضرين وأهل الغرب ضد السلاجقة .

ثالثا: أشار البابا إلي أن من يشارك بالذهاب إلي الشرق سوف تغفر آثامه ، كذلك فإن من يقتل سيصبح شهيداً [٤٢].

رابعاً : قدم البابا حافزاً مادياً واضحاً للمشاركين حيث ذكر أن الأرض في الغرب الأوروبي ضاقت بسكانها ، ودعاهم إلي الذهاب إلي الشرق حيث أرض كنعان التي تفيض لبناً وعسلاً ؛ وجاءت تلك العبارة لتؤكد علي أن الدافع الاقتصادي توافر لدي تلك الحركة الناشئة منذ اللحظات الأولى لميلادها [٤٣] مما أفقدها مثالياتها المزعومة التي حرصت الحوليات الصليبية الباكرة علي تأكيدها بصورة مفتعلة .

خامساً : كان محور الإلهام – كما قرر البعض– في خطابه مدينة بيت المقدس ، والضريح المقدس – كما يعتقد المسيحيون – والتي ارتبط بذكريات المسيحية الباكرة ، وقد راح البابا يقص علي مستمعيه ملحمة أورشليم التي كانت تعد محور العالم ، وأم الكنائس، والجنة الأرضية التي شهدت الميلاد الإعجازي للسيد المسيح عليه السلام ، وأشار إلي وقوعها في أغلال الأسر وعلي الرجال أن يخلصوها من العبودية والهوان الذي لحق بها [٤٤] .

الأمر المؤكد أن البابا كان ذكياً عندما تناول أمر بيت المقدس في خطابه ليقينه أن الحج Peregrinatio[٤٥] كان بمثابة الحلم الجماعي الذي توحدت عليه أوروبا العصور الوسطي من الإمبراطور إلي أصغر قن ، وذلك في ظل النظام الإقطاعي ولذلك حرص علي إيراد أمر تلك المدينة المقدسة ليضمن إثارة الناس للخروج في المشروع الصليبي المرتقب مهما اختلفت انتماءاتهم الطبقية .

سادساً : حرص البابا علي تطعيم خطابه التاريخي المذكور بعبارات وردت في الكتاب المقدس من أجل إضفاء طابع القداسة عليه ، وكذلك إثارة أكبر قدر من سامعيه في عصر طغت فيه الظاهرة الدينية وتمثل هذا في التدين العاطفي المتعصب ضد كل ما هو غير مسيحي كاثوليكي الذي ساد أوروبا العصور الوسطي بصفة عامة ومثال ذلك قوله :

" أنتم ملح الأرض فإذا فسد الملح فبماذا يملح " وهو قول ورد في إنجيل متى الإصحاح (٥- ١٣) .

تجدر الإشارة إلي أن الهدف المعلن في خطاب البابا كان غير الأهداف الحقيقية المستترة التي حرص علي عدم الإفصاح عنها ودل ذلك علي الدهاء والمكر من جانبه وامتلاكه باقتدار أدوات السياسي المحنك البارع وليس مجرد رجل الدين الجالس علي كرسي القديس بطرس في روما إذ من المؤكد أن البابا في دعوته كان سياسياً من الطراز الأول .

لم يذكر البابا رغبته في التخلص من خطر النورمان من خلال توجيههم في مشروع حربي خارج القارة الأوروبية ليتم توسيع رقعة عالم المسيحية بإشراف البابوية ، كما لم يذكر رغبته في إخضاع الكنائس الشرقية خاصة كنيسة القسطنطينية لسيطرة كنيسة روما سيدة الكنائس وهو أمر لم يتحقق فعلياً إلا عام ١٢٠٤م خلال أحداث ما عرف بالحملة الصليبية الرابعة، كذلك أغفل الإفصاح عن رغبة البابوية الجامحة في تنصير مسلمي الشرق وتحويلهم عن الإسلام ليكونوا مسيحيين كاثوليك وبالتالي تتفوق المسيحية الكاثوليكية علي المسيحية الأرثوذكسية المنافسة لها .

هكذا ، فالمعلن من الأهداف هو هدف واحد تمحور حول استعادة بيت المقدس ، بينما المستتر كانت جملة أهداف خطيرة علي حساب المسلمين وأخطر ما فيها الأهداف المستترة.

تؤكد لنا وقائع التاريخ أنه فور إلقاء البابا لخطابه ، صاح الحاضرون صيحة واحدة هي : Deus Vult أو الله يريد هذا أو تلك إرادة الرب، ثم تم وضع صليب قماش أحمر علي أكتاف المشاركين ، وكان ذلك شعار الحركة التاريخية الوليدة ، التي عرفت لدي الباحثين بالحروب الصليبية , Crusades Kreuzzuge , Croisades في حربها المرتقبة ضد الإسلام.

لا نغفل هنا إدراك نجاح البابا في اختيار التوقيت الزمني الصحيح إذ كانت هناك فكرة نهاية العالم مع حلول عام ١٠٠٠ميلادية[٤٦] وبالتالي رغب الكثيرون في الحج إلي

فلسطين هناك ، من ناحية أخري كانت البابوية قد خرحت من معركتها مع الإمبراطورية منتصرة ، كما أن اختياره لفرنسا تحديداً لا يخلو من دلالة بعمق تاريخها العدائي مع الإسلام حتى ذلك العصر ، فإذا أضفنا إلي ذلك البابا أمتلك الفصاحة والشخصية الكاريزمية المؤثرة ؛أدركنا أن مشروعه تم إعلانه لينجح ولست في حاجة إلي الإقرار بأن المجمع المذكور ، والدعوة فيه للحروب الصليبية ، لم يكن بمثابة مفاجأة كما يتصور البعض ، بل المرجح الإعداد له مسبقاً لضمان نجاحه خاصة بعد فشل مجمع بياكنزا ، كذلك لا نغفل أن الصيحة الواحدة بصورة جماعية علي النحو المذكور ؛ تؤكد لنا أن المجمع كان أشبه شيء بمسرحية معدة سلفاً لضمان نجاحها .

وهنا ، في مقدورنا تذكر ما حدث منذ ثلاثة قرون مضت خلال تتويج شارلمان ، حيث قام البابا ليو الثالث Leo III (٧٩٥– ٨١٦م) بتتويجه في كنيسة القديس بطرس St. Peter في روما في ليلة عيد الميلاد من عام ٨٠٠م ، وصاح الحاضرون صيحة واحدة تعني " يعيش الإمبراطور

شارلمان العظيم " ، وهكذا ، لم يكن الأمر مفاجأة لشارلمان كما تصور البعض بل كان أيضاً أشبه بمسرحية معدة سلفاً بين البابا المذكور وشارلمان خاصة أن هذه المرة الأولي التي يوجد فيها إمبراطور في الغرب الأوروبي بعد أن سقط آخر إمبراطور في روما علي أيدي الجرمان بقيادة إدواكري Oduacer عام ٤٧٦م . عندما نحي جانباً رومولوس أوجستيلوس Romolus Augutelus (٤٧٥– ٤٧٦م) .

من جهة أخرى ، نرجح أن البابا توافرت لديه معلومات وافية عن الأحداث الجسام التي حلت بالمسلمين في العراق ، وبلاد الشام ، ومصر [٤٧] من تصارع بين الخلافة العباسية السنية في بغداد ، والخلافة الفاطمية الشيعية من خلال زوايا عديدة سياسية ، واقتصادية ، ومذهبية ، في القاهرة والصراع الذي تم بينهما علي نحو أجهدهما معاً وجعل من بلاد الشام منطقة وسطي للتنافس بينهما ، وكذلك انهيار دولة الأتراك السلاجقة بعد وفاة ملكشاه (ت ١٠٩٢م) آخر السلاطين السلاجقة الكبار .

وقد أمتلك البابا كافة المعلومات من خلال الجواسيس والتجار والحجاج إذ من المستبعد منطقياً الإقدام علي مثل هذا المشروع الضخم الذي عقدت عليه الآمال الكبار

دون قاعدة معلومات كافية ومما يدعم مثل هذا التصور المنطقي ما ورد لدي المؤرخ الجنوي كفارو الكاسيكفلوني Caffaro di Caschefelone الذي اشار فى حولياته تحرير مدن الشرق De Liberatione Civilatum Orientis إلي قيام بعض قادة الحملة الصليبية الأولي مثل جودفري بويوني Godfrey of Bouillon، وروبرت الفلاندرزي Robert of Flanders بالحج إلي بيت المقدس فيما بين عامي ١٠٨٣- ١٠٨٥م ، قبل الدعوة لقيام الحروب الصليبية .

وقد أشار إلي ركوبهما سفينة تدعى بوميلا Pomela من ميناء جنوة Genoa الإيطالي ووصلا إلي الإسكندرية ، ومنها صحبتهم قوات خاصة إلي بيت المقدس (٤٨) ، وهكذا ، فقد تمت " معاينة " المنطقة التي ستكون مسرحاً للأحداث الجسام التي ستقع من خلال المشروع الصليبي والتي ستشكل مرحلة فارقة في تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطي وقد حاول بعض المؤرخين الأوروبيين المحدثين مثل هايد Heyd في كتابه تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطي Histoire de Commerce de levant au Moyen Ages ، التشكيك في الرواية المذكورة نظراً لوجودها في هذا المصدر فقط ، إلا أن أهمية ذلك المؤرخ الجنوي وعمله كقنصل لبلاده وبالتالي كان قريباً من مصادر صنع القرار السياسي، كذلك ذكره لاسم السفينة التي استقلها الأميران المذكوران وقد حدد اسمهما بهذه الصورة الواضحة ؛ كل ذلك يجعلنا نؤكدها

ولا نتشكك فيها ، أما عدم وجود روايات مماثلة فذلك يؤكد تفرد ذلك المؤرخ من خلال وضعيته الخاصة .

بصفة عامة ، صادفت دعوة البابا هوي في نفوس ملوك أوروبا العصور الوسطي حينذاك الذين أرادوا تكوين أملاك لهم في الشرق ، كما أن المدن التجارية الإيطالية مثل جنوة Genoa، وبيزا Pisa ، والبندقية Venice أرادت الاشتراك في الحروب الصليبية ليس من خلال دافع ديني بل من أجل المال والنفوذ التجاري في عالم البحر المتوسط Mediterranean Sea ومنافسة الإمبراطورية البيزنطية علي المستوى التجاري ، ولا نغفل شعار البنادقة الشهير " نحن تجار أولاً ثم مسيحيين من بعد ذلك " .

أما علي المستوى الاجتماعي ؛ فنجد أن الأقنان Slaves الذين كانوا في قاع المجتمع الإقطاعي [٤٩] أرادوا الاشتراك في الحروب الصليبية من أجل التخلص من أوضاعهم الاقتصادية والاجتماعية المتردية باعتبارهم في قاع ذلك المجتمع .

وبالتالي ليس في مقدورنا فهم ما حدث في كليرمونت إلا من خلال تأمل الواقع الاقتصادي والاجتماعي في الغرب الأوروبي وليس التمحور علي دور البابا فقط في حركة التاريخ حينذاك .

هكذا جاءت دعوة البابا بمثابة طوق النجاة لكافة شرائح المجتمع الأوروبي الوسيط في ذلك الحين .

أما بالنسبة لإسهام الفقيه علي بن طاهر السلمي ، فقد تمثل في كتابه الجهاد الذي حرص فيه علي دعوة المسلمين إلي مواجهة الغزو الصليبي في مراحله الباكرة .

ويتطلب الأمر منا ،تسليط الضوء علي فكرة الجهاد باعتباره محورها في عصر الحروب الصليبية.

واقع الأمر ، الجهاد لغة يعني التعب والمشقة ويقال جهد الرجل في الأمر جهداً[٥٠] وقد احتل الجهاد أهمية بارزة في القرآن الكريم [٥١] والأحاديث النبوية [٥٢]مما دعم محوريته في الإسلام .

وقد مر الجهاد بعدة مراحل ، ففي أول الأمر كان هناك توجيه من الله عز وجل نحو كف المسلمين عن القتال في مكة المكرمة والتوجه إلي الهجرة إلي المدينة المنورة[٥٣]، ثم من بعد ذلك أذن للمسلمين بالقتال في مواجهة أعدائهم [٥٤] وفيما بعد فرض عليهم القتال لمن قاتلهم ، وذلك باستثناء من لم يقاتلوهم [٥٥] ، وأخيرا فرض عليهم قتال المشركين كافة [٥٦] .

وقد ادرك مفكرو الإسلام أهمية فريضة الجهاد وعظم شأنها فيالمذاهب الإسلامية ونجد مثالاً واضحاً علي ذلك عند المفكر العامري (ت٩٩٢م) عندما قرر أن أقسام العبادات في الإسلام منها

العبادات النفسانية كالصلاة ،و البدنية كالصيام ، والمالية كالزكاة ، والعبادة المشتركة بين هذه العبادات كالحج ، أما الجهاد ، فأعتبره العبادة الملكية [٥٧] ، أما ضرورة القيام به فتتمثل في أنه لولا قيام أهل الدين بالمحاماة عن دينهم بالسيف ؛ لأجتاحهم أعداؤهم ، ولظهر الفساد في البر والبحر ، ولهدمت صوامع، وبيع ، وصلوات، ومساجد [٥٨] .

لقد توافرت عدة مبادئ للحرب في الإسلام وتمثلت في أن السلم هو الأساس القائم في العلاقات الإنسانية ، وإن وجدت الحرب فهي في حالات الضرورة ، دون عدوان ، ولا ينبغي ألا يتأثر بالحرب من لا يشتركون فيها ، ثم المسارعة إلي تلبية دعوة إلي السلم وذلك في حالة إظهار أحد الأطراف المتصارعة ميلاً حقيقياً للمسالمة وكف الحرب، ثم أن الإسلام احتوى من مبادئه ضرورة الإحسان إلي الأسرى من جيوش الكفار والمشركين[٥٩]، وذلك منذ أربعة عشر قرناً من قبل معاهدة جنيف الرابعة .

لقد صار أمر الجهاد في الإسلام فرض كفاية ، وفرض عين ، وكان يفرض علي من يقع عليهم العدوان ، فإن لم يكن منهم كفاية لصد المعتدين ؛ فإن الجهاد عندئذ يفرض علي من يليهم وأقرب الناس إليهم ، وهكذا يتسع نطاق الفرض مجريات المال ، وقدرات المعتدي الهجومية حتى يشمل أمر الجهاد المسلمين جميعاً [٦٠] وحينئذ نجد العاجزين عن الجهاد من المسلمين عليهم المجاهدة بأموالهم [٦١] .

وإذا كان الجهاد والدعوة له قد احتل مكانة مهمة لدي السنة ، فإن الشيعة هم أيضاً سرعان ما تبلورت لديهم فكرة الجهاد هي الأخرى ، وقد رأت الفرق الشيعية وجوب الجهاد والدفاع عن الإسلام وأملاك المسلمين [٦٢] ، واعتبروه حجر الزاوية في بناء هيكل الدين والأساس الذي اتسعت بمقتضاه أملاك المسلمين [٦٣] ، وبلغ الفكر الديني الشيعي حداً جعل الجهاد أحد أركان الإسلام المهمة فإذا كان الإسلام قد بني علي خمس في صورة الشهادتين ،و الصلاة ، والزكاة ، والحج ، فإن الشيعة اعتبروا الجهاد من دعائم الدين وشكل واحداً من أسسه [٦٤] .

واقع الأمر ، اتجه السلمي إلي الاهتمام بفكرة الجهاد والحث عليها في كتابه وأوضح أن تقاعس المسلمين عن الدفاع عن طليطلة بالأندلس وسقوطها في أيدي الإسبان عام ١٠٨٥م

، ثم استشراء حرب الاستغلاب ؛ كان له أثره البارز في تشجيع الصليبيين علي التوجه إلي بلاد الشام [٦٥] ذلك بعد أن تم إسقاط حكم المسلمين في صقلية ، وجنوبي إيطاليا.

لقد كانت فكرة تأصيل ظاهرة الحروب الصليبية من الأندلس مروراً بصقلية وجنوبي إيطاليا وصولاً إلي بلاد الشام دليلاً علي عمق رؤيته وبحثه عن الجذور التاريخية وإدراكه لوحدة الحركة

الصليبية كظاهرة بحر متوسطية من الأندلس إلي الساحل الشامي منذ أن كانت علي أرض أوروبا ذاتها قبل وصولها إلي غربي آسيا وتحديداً بلاد الشام .

ومن المهم هنا الإشارة إلي استفادة المؤرخ العراقي البارز عز الدين بن الأثير الجزري (ت١٢٣٢م) من هذه الفكرة في كتابه الكامل في التاريخ حيث نظر إلي الحروب الصليبية علي أنها حرب ثأرية بين المسيحية والإسلام وأنها بالفعل بدأت أصلاً في الأندلس [٦٦] ، وهكذا ؛ فإن ذلك التوجه وجد لدى السلمي (ت ١١٠٦م) قبل نحو ستة عقود من ميلاد ابن الأثير نفسه الذي ولد بالموصل عام ١١٦٠م لذا من الضروري نسبه التوجه المذكور لصاحبه الأصلي ذلك الفقيه الدمشقي الغيور علي دينه وأمته صاحب القدرة علي الربط بين الأحداث مهما تباعدت حدودها الجغرافية .

كذلك إتجه السلمي إلي إثارة المسلمين إلي الجهاد وحثهم علي الوحدة وبذلهم الجهد من أجل طرد الصليبيين من القدس وأفتى بأن الجهاد لم يعد فرض كفاية ، بل صار فرض عين [٦٧] .

ويجدر بنا اقتباس سطور من كتاب الجهاد كي ندرك رؤية ذلك الفقيه وحماسته الدينية المتدفقة إذ قال : " ... أن شتت الله شملهم (يقصد المسلمين) وخالف بين كلمتهم، وألقى العداوة والبغضاء بينهم، وأطمع أعداءهم في انتزاع بلادهم من أيديهم ، وشفاء صدورهم عنهم ، فوثبت طائفة علي جزيرة صقلية ، علي حين تباين من أهلها وتنافس ، وتملكوا مثل ذلك بلداً بعد بلد من الأندلس ، ولما تناثرت الأخبار عندهم بما عليه هذه البلاد من اختلاف أربابها ، وتفرق أكابرها مع اختلالها واضطرابها ، أمضوا عزائمهم علي الخروج إليها ، وكانت القدس نهاية أمانيهم منها ، فأشرفوا من بلاد الشام علي ممالك

متفرقة ، وقلوب غير متفقة وآراء متباينة ... حتى تملكوا من البلاد ما لم تنته إليه عامة آمالهم ، وبلغوا أضعاف ما أرادوه من إهلاك أهلها وإذلالهم ، وهم إلي الآن جادون في الاجتهاد ،م ُجدون في طلب الازدياد ، تتضاعف أطماعهم لما يظهر لهم من الأحجام عنهم، وتنبسط آمالهم بحكم ما يرونه من رضي أعدائهم بالسلامة منهم ، حتى لقد تيقنوا أن البلاد كلها صائرة إليهم ، وأن جميع أهلها أسري في أيديهم ، والله بكرمه يخيب ظنونهم باجتماع الكلمة ، وانتظام شمل الأمة ، أنه قريب مجيب "[٦٨] .

إن تأمل الفقرة السابقة ليؤكد لنا حماسته الدينية ، وحرصه الشديد علي إثارة الشعور الديني من خلال الدعوة إلي جهاد الصليبيين ، وقد أدرك أن حربهم خلال الأعوام الأولي من تاريخهم في المنطقة سيكون أيسر حالاً مما لو استمروا وثبتوا أقدامهم .

ومن المفارقات المؤلمة أن ذلك العالم الذي كان ينادي بالجهاد لإيقاظ معاصروه توفي عام ١١٠٦م ومن بعد ذلك توالت مدن الساحل الشامي في السقوط مثل صيدا"Sidon "عام ١١١٠م وبيروت Byrouth عام ١١١١م ، وصور Tyre عام ١١٢٤م ، وعسقلانAscalon عام ١١٥٣م ، وهكذا فإن

توقعاته صدقت من بعد رحيله ، ومن المفترض أنه كان بعيد النظر بحيث أدرك بثاقب بصره أن أطماع الصليبيين لن تتوقف عند هذا الحد بل سيتوالى سقوط المدن الشامية الواحدة تلو الأخرى خاصة أن الغزاة أدركوا أهمية تحقيق انتصارات عسكرية سريعة في وقت انشغال المسلمين بصراعاتهم السياسية والطائفية والعرقية والمذهبية .

إن أفكار السلمي والروح التي كتب بها عباراته في المقابل تذكرنا بصورة المؤرخ الصليبي البارز وليم الصوري (ت ١١٨٦م) – فيما بعد –عندما كان يستصرخ قومه لمواجهة التحديات المحدقة بهم في عهد صلاح الدين الأيوبي ، ولم ينصت إليه أحد من الصليبيين ثم حدثت كارثة حطين ٤ يوليو ١١٨٧م وتوالي سقوط المدن التي خضعت للسيادة الصليبية وتم فتح بيت المقدس في ٢ أكتوبر ١١٨٧م .

من المهم هنا ملاحظة أن السلمي عاصر حكم الدولة الفاطمية لدمشق منذ أن ولد عام ١٠٣٩م حتى سقوطها علي يدي أتسز بن أوق عام ١٠٧٥م وتولي الحكم بعد مقتله

تتش بن ألب أرسلان السلجوقي (ت ١٠٩٥م) منذ عام ١٠٧٨م ، وقد استمر حكم دمشق من جانبه ، وكذلك ابنه دقاق (ت ١١٠٣م) من بعده ، ثم أتباكه ظهير الدين طغتكين (ت١١٢٧م) حيث توفي السلمي خلال أعوام حكمه الأولي .

هكذا فقد عاصر انتهاء الحكم الفاطمي لدمشق ، وتفكك الدولة السلجوقية بعد وفاة ملكشاه ، وأنقسام دولة سلاجقة الشام بين دقاق بن تتش (١٠٩٥م) في دمشق ورضوان ابن تتش (ت ١١١٨م) في حلب ثم اندلاع الحروب الصليبية عام ١٠٩٥م ووصول الصليبيين إلي بلاد الشام واستيلائهم علي أنطاكية ١٠٩٨م وغزوهم لبيت المقدس عام ١٠٩٩م [٦٩] .

ولا مراء في أن معاصرته لتلك الأعوام من الاضطراب والتصارع والتشرذم السياسي الذي حدث عقب انهيار دولة السلاجقة أعانه ؛ علي تقديم صورة حية لمشكلة المسلمين الكبرى في ذلك العصر بل والعصور التالية للأسف الشديد ، لذلك كان كتابه الجهاد هو العلاج الأمثل لمواجهة الغزو الصليبي بعد أن يتخلص المسلمون من انقساماتهم وبالتالي في مقدورنا القول أن ذلك العالم قدم لمعاصريه موطن الداء وأسباب العلاج ، ورأي أن الوحدة هي الأساس الذي يمكن البناء عليه وهو أمر تحقق من خلال جهود متوالية فيما بعد لقادة كبار مثل شرف الدين مودود وعماد الدين زنكي ، ونور الدين محمود (١١٤٦-١١٧٤م) ، وصلاح الدين الأيوبي (١١٧١- ١١٩٣م) ومن ورائهم جيوشهم والجبهة الداخلية الإسلامية التي كانت خير عون لهم .

من ناحية أخرى ، نلاحظ إدراك السلمي أن الحكام المسلمين المعاصرين؛ تقاعسوا عن الجهاد ، وشُغلوا بصراعاتهم السياسية عن مواجهة خطر الصليبيين المتزايد يوماً بعد آخر والذي كان يستثمر بذكاء المستعمر أخطاء خصمه .

ويقرر المستشرق الفرنسي نيكتيا اليسيف Nikita Elisseeff أن السلمي ترك وصفاً واضحاً للموقف ، وأكد علي ضرورة محاربة الصليبيين في الساحل الشامي قبل توسعهم إلي مناطق إسلامية داخلية وقبل تثبيتهم لأقدامهم في المنطقة ، خاصة أن قوات الصليبيين قد أنخفض عددها مع تسريح الجيش الصليبي وعودته [٧٠] . إلي أوروبا عقب نجاحهم في غزو بيت المقدس عام ١٠٩٩م ، وبالتالي انتهت بالنسبة لهم رحلة الحج التي قاموا بها إلي الشرق ، كما أكد السلمي أن تلك القوات كانت بعيدة عن قواعدها في أوروبا

بينما المسلمون كانوا يحاربون علي أرضهم ، ولذلك طالب بعمل قوى من أجل منع الصليبيين من إيجاد موضع قدم لهم في المنطقة [٧١] .

ويوضح لنا ذلك المستشرق أن السلمي من خلال المعطيات السياسية والحربية القائمة نصح المسلمين بالقيام بفعل سريع وقرر أن الفرصة سانحة لمقاومة الغزاة ، وإلا فالمستقبل ينذر بأوخم العواقب علي المسلمين [٧٢] .

ويقرر ذلك المستشرق أن عمل السلمي ويقصد به كتابه الجهاد، لابد وأنه كان له تأثيره علي المعاصرين ، وسرعان ما تواري المؤلف وكتابه في غياهب النسيان [٧٣] ، مع ذلك أري أن ذلك الكتاب ؛ كان مقدمة لمؤلفات أخرى عن نفس الموضوع شهدها عصر الحروب الصليبية ، ومن أمثلتها : ما ألفه مجد الدين ظاهر بن نصر الحلبي (ت ١١٧٣م) الذي ألف كتاباً في فضائل الجهاد [٧٤] ، وكذلك يشير إلي ما ألفه الحافظ بن عساكر (ت١١٧٦م) في كتابه أربعون حديثاً في الحث علي الجهاد[٧٥] الذي ألفه لنور الدين محمود، كما أن بهاء الدين بن شداد (١٢٣٤م) ألفكتاباً عن الجهاد وفضائله لصلاح الدين الأيوبي[٧٦] .

بصفة عامة ، في مقدورنا القول أن كتاب السلمي كان حاضراً في أذهان أولئك الذين ألفوا كتباً عن الجهاد علي مدى عصر الحروب الصليبية ،ويلاحظ هنا أن التأليف في هذا الموضوع شهد ازدهاراً واضحاً خلال ذلك العصر حيث أقبل المعاصرون علي اختلاف مشاربهم علي قراءة كتب الجهاد أو الاستماع إلي الفقهاء وهم يدعونهم إلي ذلك ، وقد حرص كبار القادة علي إثارة حماس المسلمين من خلال تشجيع التأليف عن هذه الزاوية ، حيث صار تحرير بيت المقدس من براثن الصليبيين بمثابة الحلم الجماعي لكافة المسلمين الذي وحدهم جميعاً علي اختلاف طبقاتهم الاجتماعية في كافة أنحاء العالم الإسلامي .

والأمر المؤكد، أن الإعداد المعنوي لمواجهة الصليبيين كان علي جانب كبير من الأهمية في فهم الاستجابة الإسلامية للتحدي الصليبي ، ولا نغفل كذلك في دراستنا لفكر السلمي من خلال كتابه ، ما تمتع به من جرأة وقدرة علي النقد السياسي في عصر لم يكن ذلك فيه بالأمر اليسير ولا أدل علي ذلك مما أورده في صورة التالي :" فالعجب كل العجب من سلطان يهنأ بعيش أو يخلد إلي استقرار مع إطلال هذه النازلة التي مغبتها

استيلاء هؤلاء الكفار، والإخراج من البلاد بالقهر والاقتصار أو الإقامة معهم فيها والتنكيل والتعذيب في الليل والنهار "(٧٧) .

وعند تأمل هذه السطور؛ يتضح أنها موجهة أساساً للحكام المسلمين المعاصرين ودعوة صريحة لهم نحو جهاد الصليبيين ، وإذا ما أدركنا أن ذلك القول ردده في الجامع الأموي أمام مريديه ومستمعيه والذين من المفترض أنهم بلغوا المئات ؛ لذلك كان ذا أهمية خاصة لأنه لم يكن مؤلفاً في كتاب بل محاضرات ألقاها ودونت من بعد ذلك ، وهو أمر يدل علي تأثيره علي معاصريه ممن استمع إلي محاضراته .

علينا هنا في معرض دراستنا لإسهام السلمي في الدعوة للجهاد ضد الصليبيين البحث في رؤية المستشرق الفرنسي إيمانويل سيفان Emmanuel Sivan وأهم أفكاره في هذا المجال تتمثل في الآتي :

أولاً: علي الرغم من قيام بعض تلاميذ السلمي بنقل أفكاره إلا أن التأثير الذي أحدثه لم يكن بصورة مباشرة في دمشق في حينه .

ثانياً : لم يبرز ابن القلانسي (ت ١١٦٠م) ومن بعده ابن عساكر (١١٧٦م) دور السلمي وتجاهلانه .

ثالثاً: تأخر أثر السلمي إلي ما قام به نور الدين محمود بن عماد بن زنكي في صورة محاولاته توحيد الجبهة الإسلامية بعد نصف قرن من ذلك [٧٨].

والواقع من الممكن الرد علي هذه الأفكار من خلال العناصر التالية :

أولاً : تصور أن تأثير السلمي لم يكن بصورة مباشرة من دمشق في حينه أمر جانبه الصواب إذ من غير الموضوعي التعامل مع قضية الجهاد علي أنها متمحورة في العاصمة التاريخية لبلاد الشام ،ولا نغفل في هذا الصدد ،دور الموصل حاضرة الجزيرة الفراتية ، حيث قامت منها بواكير حركة الجهاد الإسلامي .

ومن هنا ظهر دور شرف الدين ممدود [٧٩] (ت ١١١٣م) أتابك الموصل الذي قاد المسلمين في ثلاث حملات ضد إمارة الرها Edessa واغتيل بعد (٧) أعوام فقط

من رحيل السلمي ، وبالتالي علينا إدراك تأثيره خارج النطاق الدمشقي المحدود إلي نطاق أوسع من بلاد الشام .

ثانياً : القول بأن ابن القلانسي لم يبرز دور السلمي أمر منطقي تماماً لأن كتابه الذيل علي تاريخ دمشق ؛ كتاب حوليات في الأساس ، أما إشارته عن تجاهل ابن عساكر له ، فهو أمر مغلوط ؛ لأنه أشار غلي ترجمته في تاريخ مدينة دمشق كما أورده ياقوت الحموي والصفدي أيضاً مما دل علي انه كان صاحب تأثير لم تتكره المصادر التاريخية المعاصرة واللاحقة .

ثالثاً : النظرة غلي حركة الجهاد الإسلامي علي أنها متمحورة في نور الدين محمود أمر يخالف واقع التاريخ لأن التوجه نحو الوحدة بأن فعاليات أتابكية الموصل التي استجابت لنداء الاستغاثة من حلب وبالتالي فإن شرف الدين ممدود هو البداية وليس نور الدين محمود .

لا نغفل زاوية لها أهميتها في دراسة إسهام السلمي من خلال كتابه الجهاد؛ إذ هناك احتمال لتأثره بأفكار حجة الإسلام أبو حامد الغزالي (ت ١١١١م) مؤلف كتاب إحياء علوم الدين وقد ألفه عام ١٠٩٥-١٠٩٦م ، ومن المقرر قيامه بإلقاء دروسه في دمشق عام ١٠٩٦م [٨٠] ، قبل عامين من دخول الصليبيين لأنطاكية ١٠٩٨م وقبل ثلاثة سنوات من غزوهم الدموي لبيت المقدس ، ونظراً لتعاصرهما معاً ؛ الغزالي والسلمي وتدريس الأول في دمشق في ذات المدينة التي عاش فيها السلمي أغلب عمره ؛فمن المرجح تأثره به ، ويلاحظ أن الغزالي اهتم بالجهاد الأكبر ؛ أي جهاد النفس وذلك ضمن مشروعه الإصلاحي الكبير الذي أورده في كتابه إحياء علوم الدين .

يلاحظ هنا أن الجانب الأخلاقي الذي نجده – ضمنياً– لدي السلمي في ثنايا كتابه ربما تأثر فيه بما أروده الغزالي في كتابه الموسوعي المذكور .

نأتي الآن إلي عقد مقارنة بين البابا أوربان الثاني والفقيه السلمي ، ونجد في هذا المجال جوانب للاتفاق ، وأخرى للاختلاف يمكن إجمالها في التالي :

أولاً : من جوانب الاتفاق؛ توجههما نحو الدعوة إلي فكرة دينية محورية ، كما الحال في أمر الحرب المقدسة Holy War Bellum Sacrum بالنسبة لذلك البابا – مع عدم إغفال الباباوات السابقين الذين شاركوا في صياغتها – والجهاد بالنسبة للسلمي ، مع ملاحظة الفارق الجوهري بين الفكرتين حيث كانت الأولي طارئة علي المسيحية التي هي ديانة مسالمة أصلاً وترفض فكرة الحرب ، بينما فكرة الجهاد أصيلة في الإسلام .

ثانياً : يتفق الأثنان في الاستفادة من التاريخ كحافز بالنسبة لأوربان وحديثه عن أمجاد الفرنجة ، وكدرس وعبرة كما في حالة السلمي عندما ذكر المسلمين بالأندلس وصقلية وما حل بهم هناك مع ملاحظة أن الأحداث التي استخدمها البابا لتحفيز معاصريه كانت قد حدثت منذ قرون عديدة فالبنسبة لشارل مارتل ؛ نجده قد انتصر علي المسلمين عام ٧٣٢م ، وشارلمان قام بحملته عام ٧٧٨م ، أي في القرنين الثامن الميلادي بينما كان البابا يدعو لمشروعه في أخريات القرن الحادي عشر الميلادي ، أي منذ أكثر من ثلاثة قرون ، أما بالنسبة للسلمي فما حل بالمسلمين في الأندلس وصقلية في النصف الثاني من القرن القرن الحادي عشر الميلادي أي قبل عقدين من اندلاع الحروب الصليبية.

ويدل ذلك علي أن العقل الغربي – حتى منذ أيام العصور الوسطي – لا ينسى المعارك الحاسمة في صدامه مع الإسلام والمسلمين واستمر هذا إلي عصرنا وصولا إلي ما يعرف بالإسلاموفوبيا أو الخوف من الإسلام وهو نتاج سوء الفهم المتعمد تجاه الإسلام وأهله كما أقرت بذلك المستشرقة الألمانية آنا ماري شميل .

ثالثاً: يتفق البابا والفقيه المذكوران في أنهما من نطاق جغرافي واحد – وأن اختلفت ظروفه المناخية – هو نطاق البحر المتوسط ، فبلاد الفرنجة (فرنسا حالياً) وقعت علي الجانب الغربي من ذلك البحر ، وبلاد الشام وقعت علي ضفته الشرقية Levant .

رابعاً : ألقي البابا أوربان الثاني خطبته باللغة السائدة في الغرب الأوربي وهي اللاتينية Lingua Latina ، واستعان فيها بعبارات من الكتاب المقدس ، كما أن السلمي استعان في كتابه باللغة العربية السائدة في العالم الإسلامي ، وأفاد في صياغة كتابه بآيات من القرآن الكريم الذي حفظ في الصدر بضمان إلهي منذ ١٤ قرناً .

أما جوانب الاختلاف فيمكن إجمالها علي النحو التالي :

أولاً : كان البابا أوربان الثاني أسقف كنيسة روما التي أسسها القديس بطرس St. Peter في روما وبالتالي تمتع بمكانة دينية وسياسية كبري في كافة أنحاء عالم المسيحية Christendom حتى أمتلك القدرة علي فرض الحرمان الكنسي Excommunication علي الأباطرة والملوك الذين يعارضونه ، ولذلك وجد البابا من ينصت إليه ، ويأتمر بأمره من كبار الساسة وصولاً إلي صغار الأقنان من خلال وضعيته المتميزة ، أما السلمي فعلي الرغم من كونه فقيها وعالماً في مجال اللغويات خاصة النحو وكانت محاضراته في الجامع الأموي فإن جمهوره لم يتعد المئات علي ما هو مفترض ، ولذلك لم تحظ دعوته باستجابة فورية علي عكس ما حدث في حالة أوربان الثاني.

ثانياً : دافع السلمي – دون أن تتهم بالشيفونية – عن دينه وأرضه وحقوق أمته ، ولم يك معتدياً بل تعرضت أمته للاعتداء المتعصب الدموي من جانب الصليبيين ، أما البابا أوربان الثاني؛ فيقدم نموذجاً للتعصب والعدوانية ولست مبتدعاً في ذلك التعبير حيث وصف المؤرخ البريطاني الشهير السير ستيفن رنسيمان Sir Steven Runciman الحروب الصليبية علي أنها آخر الغزوات المتبربرة Last of The barbarian invasions [٨١] ؛ وهي شهادة حق صادرة عن مؤرخ بريطاني مسيحي مما دل علي موضوعيته ، وهذا هو الفارق الجوهري بينهما ، وبالتالي فإن عنوان البحث الأصلي كدراسة مقارنة لا يعني توازيها وذلك علي عكس ما تصوره المؤرخان الأمريكيان ن . كريستي ود. جيرسي عندما اختارا لبحثهما عنوان: Parallel preaching : Urban II and al- Sulami

داعيان متوازيان ، أوربان الثاني والسلمي فالتوازي هنا لا يعني بأي حال توازي عدالة قضية كل منهما ، فالسلمي صاحب قضية بالفعل عادلة لأن أمته تعرضت للاعتداء، أما أوربان الثاني فقد قاد الحرب العالمية في العصور الوسطي وأعني بها الحرب الصليبية .

ثالثاً : لا نملك النص الأصلي لخطاب البابا – كما أسلفت الإشارة – ولذلك حدث خلاف بين المؤرخين المحدثين حوله ، أما بالنسبة للسلمي ، فلدينا أغلب كتابه عن الجهاد ولذلك فإن أفكاره تتسم بالوضوح من خلال توافر النص المصدري الأصلي وبالتالي لم يقع خلاف بين المؤرخين حول كتابه بنفس الدرجة التي حدثت مع أوربان الثاني .

رابعاً : حجم التأليف عن البابا المذكور ضخم للغاية ويتضح ذلك من خلال تتبعنا للدراسات الببليوغرافية بالإنجليزية والألمانية ، والعربية [٨٢] ، فلا يخلو كتاب عن قيام الحروب الصليبية دون الإشارة إليه عكس الحال بالنسبة للسلمي الذي تناولته دراسات قليلة من جانب باحثين متخصصين في مجال تاريخ الحروب الصليبية .

خامساً : لم يلق السلمي التكريم الجدير به بل مات دونما أية مظاهر خاصة للتكريم باستثناء ترديد أفكاره لدي تلاميذه ومريديه ، بينما البابا المذكور أشادت به الكنيسة وتم تكريمه حتى العصر الحديث كما حدث في أمر تطويبه عام ١٨٨١م ، كما أوضحت ذلك من قبل ، وبالطبع كان من أسباب ذلك حرص الغرب – عموماً – علي تكريم رموزه وتقديرهم ولا نغفل هنا إقامة تمثال له في مدينة كلير مونت فران ، وهو يشير بيده صوب الشرق في أحد ميادين تلك المدينة الفرنسية ، أما نحن في الشرق ؛ فإن تقديرنا لرموزنا ليس بنفس الدرجة وهي حقيقة صادمة لابد من الاعتراف بها .

سادساً : عاش أوربان الثاني عمراً أقصر مما عاشه السلمي ، فقد ولد ذلك البابا عام ١٠٣٥م ،وتوفي في عام ١٠٩٩م أي عاش (٦٤) عاماً ، أما السلمي فقد ولد عام ١٠٣٩م ومات عام ١١٠٦م عن عمر بلغ (٦٧) عاماً وبالتالي فالفارق الزمني بينهما ثلاث سنوات فقط، وهذا يدعونا إلي القول بأنهما قاما بدورهما في نفس المرحلة العمرية تقريباً ، ولا نغفل كذلك ملاحظة أن البابا المذكور عاش عمره كله خلال القرن الحادي عشر م ، إما السلمي فعاش أغلب عمره في القرن المذكور بالإضافة إلي (٦) سنوات من القرن الثاني عشر م .

سابعاً : يتحمل البابا أوربان الثاني مسؤولية اندلاع الحروب الصليبية بما احتوته من دماء، ودمار، وخراب ، بينما السلمي لا يتحمل شيئاً من ذلك كله ، لذلك لا نوافق ما ذهب إليه العالم الأمريكي مايكل هارت في كتابه العظماء مائة ، عندما أعتبر

ذلك البابا من المائة الأعظم في التاريخ [٨٣] ، لأن من قاد ذلك الصراع بين الغرب والشرق وأشعل شرارة الحرب العالمية في العصور الوسطي التي راح ضحيتها مئات الآلاف لا يستحق وصفه من العظماء ومن الجلي البين أن ذلك الوصف يدل علي انطلاقه من المركزية الأوروبية الواهمة ، فعظماء التاريخ هم الذين قدموا للبشرية كل نافع ومفيد لا كل ضار ومدمر .

ثامناً : علي المستوى الجغرافي ؛ نجد أن البابا أوربان الثاني قد ألقي خطابه في مدينة كلير مونت فران ؛ وهي مدينة صغيرة في جنوبي فرنسا ، ولم تكن تعد من الحواضر البارزة في الغرب الأوروبي في العصور الوسطي ، أما السلمي فقد ألقى دروسه التي جمعت في صورة كتاب الجهاد في مدينة دمشق العاصمة التاريخية لبلاد الشام والتي كانت يوماً ما عاصمة الخلافة الأموية(٦٦٢ – ٧٥٠ م) التي بدورها امتدت رقعة عالم الإسلام في عهدها من الصين شرقاً إلي الأندلس غرباً ، واشتملت علي ثلاث قارات آسيا وإفريقيا وأوروبا .

كذلك نلاحظ أن البابا تنقل بين العديد من المدن الأوروبية مثل بياكنزا في إيطاليا وكلير مونت في فرنسا وغيرهما من المناطق خاصة بعد نجاح المجمع الأخير ، علي حين لا نعرف أن السلمي قد غادر دمشق إلا إلي مدينة صور بجنوبي لبنان .

تاسعاً : الخطبة التي ألقاها البابا – وهي واحدة من ثلاثة خطب – لم يستغرق إعدادها وقتاً طويلاً بحكم تركيبتها وهدفها ، أما الكتاب الذي أعده السلمي ؛ فالمتصور أنه احتاج منه جهداً كبيراً ولا أدل علي ذلك من إيراد العديد من الأعلام الذين أفاد منهم في إعداده سواء كمصادر شفهية أو من خلال مطالعة كتبهم .

كذلك نلاحظ أن خطبة البابا استغرق إلقاؤها وقتاً قصيراً ، أما كتاب الجهاد ، فقد تم إلقاؤه كمحاضرات أولاً علي مدى زمني طويل حيث أكد البعض أن استغرق تأليفه الأعوام من ١٠٩٧ إلى ١١٠٤م [٨٤] لكن من المؤكد عدم مقارنته بمدة إلقاء الخطبة المذكورة لأن الفارق الزمني بينهما كبير .

عاشراً : صار البابا أوربان الثاني بعد إلقاء خطابه والتأثير الكبير الذي أحدثه – صار بمثابة قدوة لكافة الباباوات الذين تولوا نفس منصبه علي امتداد القرنين ١٢ ،١٣م خاصة القرن ١٢م ،و من أمثلتهم – دون حصرهم – باسكال الثاني Paschal II

(١٠٩٩-١١١٨م) ، وثيودريك Theoderic (١١٠٠-١١٠١م) ، وألبرت Albert (١١٠١م) – وهو بابا غير شرعي – سلفستر الرابع Silvester IV(١١٠٥- ١١١١م) وجيلاسيوس الثاني Gelasius II (١١١٨- ١١١٩م) ، وجريجوري الثامن Gregory VIII (١١١٨- ١١٢١م) ، وكالستوس Callistus (١١١٩-١١٢٤م) ، وهونوريوس الثاني Honorius II (١١٢٤- ١١٣٠م) [٨٥]، وغيرهم ، أما السلمي ، فالمتصور أنه لم يكن علي نفس هذه الدرجة بالنسبة للفقهاء الذين أتوا من بعده ، وأن تأثر به بصورة أو بأخرى من أتي من بعده كما هو الحال بالنسبة لابن الأثير وكتابه الكامل في التاريخ .

حادي عشر : هناك فارق محتمل لا نستطيع تأكيده نظراً لصمت المصادر التاريخية، يتمثل في أن البابا أوربان الثاني امتلك شخصية من المحتمل وصفها بالكاريزمية[٨٦] Charismaوربما كان ذلك عاملاً معاوناً على تأثيره على حاضرى مجمع كلير مونت ومعاصريه وقد أعان هذا علي الاستجابة الجماعية لخطبته دون أن يكون ذلك هو العامل الأوحد وراء ذلك النجاح لوجود دوافع عديدة من وراء قيام الحركة الصليبية .

نتج عن البحث عدة نتائج تجمل في التالي :

أولاً : علي الرغم من أهمية دور الفرد في صنع التاريخ البشري إلا أن الظروف الاجتماعية ، والاقتصادية ، والدينية التي تصاحبه ؛ هي التي تقف وراء ذلك الدور التاريخي ، وهكذا ، فإن دراسة إنجاز البابا أوربان الثاني في الغرب الأوروبي ، وكذلك الفقيه السلمي في بلاد الشام ، لا يقدم – منفرداً – تصوراً موضوعياً للدعوة للحروب الصليبية وميلاد حركة الجهاد الإسلامي لمواجهتها ، ولا نغفل التأكيد هنا علي أن التاريخ يصنعه القائد الفرد وكذلك المجموع البشري الذي أنجبه أصلاً ثم تفاعل مع أفكاره علي نحو أدي إلي نجاح مشروعه .

ثانياً : شهد عصر الحروب الصليبية تصارعاً بين فكرتين دينيتين محورتين هما الحرب المقدسة Ballum Sacrum فى الغرب الأوروبى والجهاد الإسلامي ، ومن الخطأ البين أن نعكف علي دراسة التاريخ السياسي والعسكري لأحداث الصراع بين

المسلمين والصليبيين في بلاد الشام دون إدراك الأساس الأيديولوجي لذلك الصراع وقد ساهم رجال الدين في كل من المعسكرين في إذكاء تلك

الفكرة على نحو امتد علي مدى قرني تاريخ الصليبيات (القرنان ١٢ ،١٣م) مع عدم إغفال ملاحظة انتصار فكرة الجهاد الإسلامي نهاية المطاف علي فكرة الحرب المقدسة وهو ما لمسناه جلياً عندما أمكن طرد الصليبيين من آخر معاقلهم في عكا علي أيدي المماليك عام ١٢٩١م .

ثالثاً : اهتم المستشرقون بدراسة فكرة الجهاد الإسلامي لذلك عملوا علي دراسة المؤلفات التي كتبت عنها وتحقيقها وتأثيرها في عصرها وصولاً إلي عصرنا الحالي ، ونخص في ذلك المستشرقين اليهود الذين تناولوا هذا الأمر باهتمام خاص ليقدموا لإسرائيل ربيبة الاستعمار الغربي خبرتهم البحثية لضمان مواجهتها لأية حركات مقاومة لها من خلال رفع شعار الجهاد الإسلامي علي نحو يؤكد أن حركة الاستشراق (٨٧) نفسها خرجت من عباءة الإمبريالية الغربية وأن مجالات البحث كانت تصب في النهاية من أجل خدمة أهداف سياسية لا تخفي علي أحد، دون أن يفهم من ذلك إنكاراً دور المستشرقين الذين خدموا التراث العربي بموضوعية تأليفاً وتحقيقاً .

رابعاً تمثل دراسة الأعوام الأولي من تاريخ الصراع بين الصليبيين والمسلمين أهمية خاصة لدي باحثي تاريخ الحروب الصليبية ولا نغفل ملاحظة أن العقدين الأولين من تاريخ الغزاة في المنطقة ونجاحهم في غرس وجودهم الدخيل فيأرض المنطقة امتد تأثير ذلك عليمدى قرنين من عمر الزمان ، لأنها تقدم لنا التنفيذ العملي لأفكار نظرية صيغت علي أرض الغرب وطبقت على أرض الشرق بموروثه الحضاري البارز ، ولا نغفل هنا ملاحظة أن الصليبيين غزوا منطقة تأصل وتجذر فيها الجهاد الإسلامي منذ صراع المسلمين مع البيزنطيين من قبل – وكان الجهاد هو الذي واجه الغزاة هناك .

ذلك عرض عن البابا أوربان الثاني (ت ١٠٩٩م) والفقيه علي بن طاهر السلمي (ت ١١٠٦م) كدراسة مقارنة من عصر الحروب الصليبية .

الهوامش

* أتوجه بالشكر لتلميذي الدكتور / محمد فوزي رحيل الذي أعانني في الحصول على مقالة ت. كريستي ود. جرش فله خالص الشكر ووافر التقدير

(١) عن البابا أوربان الثاني انظر :

Fulcher of Chartres, A History of The Expedition to Jerusalem , Trans . Frances Rita Ryan (Sisters of St. Joseph), Tennessee 1969, PP. 62-b 65.

Robert The Monk , in E. Peters The First Crusade, The Chronicle of Fulcher of Chartres and other Source materials , Philadelphia 1971, PP. 1-4.

Guilbert of Nogent , PP . 10-13.

Baldric of Dol, PP . 6-10.

A. Becker , Papst Urban II ,2 Vols., Stuttgart 1964.

D. Munro , " The Speech of pope Urban II at Clermont , 1095", A. H. R. , IX , 1906, PP.231-242.

J. N. D. Kelly , Oxford dictionary of Popes , Oxford 1996,PP. 158- 160.

The Oxford dictionary of Byzantium , Prepared Dumbarton Oaks, Oxford 1991, III , PP. 2143- 2144.

H.E. .J. Cwdrey , " Pope Urban II , s Preaching of The first Crusade " , H. 55 , 1970,PP.177-188, Id , " Pope Urban II and The Idea of Crusade", S. M., 36 , 1995,PP. 721- 742.

نجلاء حسين محمد ، البابا أوربان الثاني(١٠٨٩- ١٠٩٩م) ،رسالة دكتوراه غير منشورة،كلية الآداب – جامعة سوهاج عام ٢٠٠٨م ، جوزيف نسيم يوسف ، الدافع الشخصي في قيام الحركة الصليبية ، مجلة كلية الآداب – جامعة الإسكندرية م (١٦) ، عام ١٩٦٣م ، ص ١٩٨– ص٢٠٥ ، عبد السلام زيدان ، الدعوة للحروب الصليبية علي بلاد الشام ١٠٩٥– ١١٨٩م ، رسالة دكتوراه غير منشورة ،كلية الآداب – جامعة أسيوط عام ٢٠٠٤م ، ص ٨٣ – ص ١٢٠ .

(٢) عن السلمي أنظر :

ابن عساكر ، تاريخ مدينة دمشق ، تحقيق محب الدين العمري ، ط. دمشق ١٩٩٦م ، جـ٤٣، ص ٥ ، ياقوت الحموي ، معجم الأدباء ، تحقيق إحسان عباس ،ط. بيروت ١٩٩٣م ، جـ٤، ص ١٧٧٤– ص ١٧٧٥ ، الصفدي ، الوافي بالوفيات ، بإعتناء محمد الحميري ، ط. شتوتجارت ١٩٩١م ، ص ١٥٤ – ص ١٥٥ ، عصام عقلة ويوسف بني ياسين ، كتاب الجهاد للسلمي (ت٥٠٠هـ / ١١٠٦م) ، دراسة في مصادره ومنهجه ورؤيته للصراع الإسلامي الفرنجي الصليبي ، مجلة دراسات – الجامعة الأردنية

عدد عام ٢٠١٤م ، (بحث علمي مهم فيه جهد ريادي) ، لؤي البواعنة ، دور العلماء المسلمين في مقاومة الغزو الفرنجي (الصليبي) للمشرق الإسلامي ٤٩٠-٦٤٨ هـ / ١٠٩٧-١٢٥٠م ،ط. عمان ٢٠٠٦م ، ص ١٣٢- ص ١٣٨، رياض شاهين وعبد الحميد الفراني ،دور العلماء المسلمين في المقاومة ضد الصليبيين في بلاد الشام ٤٩١- ٦٩٠هـ / ١٠٩٨-١٢٩١م ،ط. غزة – فلسطين ٢٠٠٥م، محمد مؤنس عوض ، من عوامل إخفاق المشروع الصليبي ، ضمن كتاب الحروب الصليبية، (السياسة – المياه – العقيدة) ط. القاهرة ٢٠٠١م ، ص ٥٣ ، هولت ، عصر الحروب الصليبية ، تاريخ الشرق الأدنى من القرن الحادي عشر حتى ١٥١٧م ، ت . عادل إسماعيل هلال ،ط. دمنهور ٢٠٠١م ، ص ٦٦ ، جمال محمد خليفة ، موقف فقهاء الشام وقضاتها من الغزو الصليبي ، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ،ط. طرابلس ٢٠٠٠م ، ص ٩٩ ، كلود كاهن ، الشرق والغرب زمن الحروب الصليبية، ت . أحمد الشيخ ،ط. القاهرة ١٩٩٥م، ص ٢٨١ – ص ٢٨٢.

قام المؤرخ والمحقق الليبي رمضان حسين الشاويش بتحقيق كتاب الجهاد للسلمي ، في رسالة ماجستير بجامعة الفاتح عام ١٩٩٢م .

E. Sivan , Genese de la Contre – Croisade , un Traite damasquin du debut du XIIe siècle, J. A., 254, 1966, PP. 197-224.

أخطأ المستشرق عمانويل سيفان عندما استخدم تعبير الحرب الصليبية المضادة وقد جانب الصواب صلاح الدين البحيري عندما أعد بحثاً عنوانه : الإعداد المعنوي للحروب الصليبية المضادة .، وقد نشر في مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية عدد (٢١) عام ١٩٧٤م، فسار علي نفس توجهه.

R. Irwin , Islam and Crusades 1096- 1699, in Oxford illustrated History of The Crusades , ed , J. Riley - Smith , Oxford 1995,P 225.

N. Elisseeff , The Reaction of The Syrian Muslims after The Foundation of The First Latin kingdom of Jerusalem , in Crusaders and Muslims in Twelfth – Century Syria , ed. Maya Shatzmiller , Leiden 1993.p.165.

N. Christie , Levantine attitudes Towards The Franks during The Early Crusades, University of St. Andrews 1999, PP,72- 73, PP 276- 277 Id , Al.Sulami (1039- 1106), C. E., IV ,2006, P.1124.

N. Christie and D. Gerish , Parallel Preachings , Urban II and al - Sulami , Al - Masaq : J.M. M., 15 , 2003, PP. 140-146.

ويعد المؤرخ الأمريكي ت . كريستي أبرز من أهتم بالسلمي وكتابه الجهاد فخصص له عدة دراسات.

C. Hillenbrand, Jihad propaganda in Syria from The Time of The First Crusade until The death of Zangi : The evidence of monumental inscriptions in The Frankish wars and Their influence on Palestine , ed . K. Athamna and R. Hancock , Bir zeit 1994 , Pp .60-69 , Id, The Crusades , Islamic perspective, London 1999,P, 165.

3- J. M. D. Kelly, Oxford dictionary of popes, Oxford 1996, PP158- 160

وعن البابا جريجوري السابع أنظر :

E. Emerton, The Correspondence of pope Gregory VII Selected letters from The Registration , New York 1932.

A. Holt and J. Muldoom , Competing Voices from The Crusades , Oxford 2008 , P.XIX.

H. E. J. Cowdrey, Pope GregoryVII,s Crusading plans of 1074" in Outremer Studies in The history of The Crusading kingdom of Jerusalem , ed . H.E. Mayer , R. Smail,B.Z. keder , Jerusalem 1982 , PP.27- 40.

سعيد عاشور، تاريخ أوروبا في العصور الوسطي ،ط. بيروت ١٩٩٠م ، ص٣٠٣ – ص٣٠٦، حسن عبدالوهاب ،معالم التاريخ الأوروبي الوسيط ، ط. الإسكندرية ٢٠١٠م ، ص ٢٤٦ ، إسماعيل نوري الربيعي ، تاريخ أوروبا في العصور الوسطي ،ط. عمان ٢٠٠٢م ، ص ٩٦.

(٤) عن هنري الرابع أنظر :

H. D. Henderson , Select Historical documents of The Middle Ages , London 1929, PP 366-367.

(٥) عن الأوامر البابوية أنظر :

J. W. Thompson, The Middle Ages, vol . I , London 1931, PP.339- 340.

O.J. Thatcher and E. h. McNeal , Asource Book for Medieval History , New York 1902 , PP. 134- 135.

(٦) عن القديس بطرس أنظر :

الكتاب المقدس ، العهد الجديد ، إنجيل متي ، الإصحاح (١٦) ، (١٨– ٢٠٩ ، إسحق عبيد ، الإمبراطورية الرومانية بين الدين والبربرية ،ط. القاهرة ١٩٧٢م ، ص ١٧٢–ص ١٧٣ ، شارل جنبير ، المسيحية نشأتها وتطورها ت . عبد الحليم محمود ، ط. القاهرة ١٩٨٥م ، ص ١٦٧ ، محمد مؤنس عوض ، الرحالة الأوروبيون في مملكة بيت المقدس الصليبية ١٠٩٩–١١٨٧م ميلادية ،ط. القاهرة ١٩٩٢م ، ص ١٣٩– ص ١٤٠ ،

D. Attwater , Penguin dictionary of Saints, London 1977,P. 273-274.

J.R.Smith , " The First Crusade and St.peter ", in Outremer Studies ,pp.41- 63.

(7) J. N. D. Kelly ,P. Ko.

(٨) ابن عساكر ، تاريخ مدينة دمشق ، جـ٤٣ ، ص ٥ ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان، جـ٤ ، ص١٧٧٤ ، الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ص ١٥٤ ، عصام عقلة ويوسف بني ياسين ، كتاب الجهاد للسلمي ، ص ٢.

وقد جانب المؤرخان رياض شاهين وعبد الحميد الفراني الصواب عندما تصورا أن السلمي هو أبو الحسن علي بن مسلم بن الحسن السلمي (١٠٦٠ – ١١٣٨م) والصواب هو علي بن طاهر السلمي (١٠٣٩– ١١٠٦ م) ، انظر إشارتها :

رياض شاهين وعبد الحميد الفراني ،دور العلماء المسلمين في المقاومة ضد الصليبيين في بلاد الشام ٤٩١– ٦٩٠هـ / ١٠٩٨–١٢٩١م ،ط . غزة – فلسطين ٢٠٠٥م ، ص ٤ .

(٩) عصام عقلة ويوسف بني ياسين – كتاب الجهاد للسلمي ، ص ٢.

(١٠) نفسه ، ص ٢ .

(١١) نفسه ، ص ٦ ،ص ١٤ .

(١٢) ياقوت الحموي ، معجم الأدباء ،جـ٤، ص ١٧٧٥ .

(١٣) – عن القديس اوغسطين أنظر:

H.O . Taylor, The Classical Heritage of The Middle Ages, New york 1959,p.265.

D,Attwater , pp.55-56.

يوسف كرم ، تاريخ الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط ،ط. القاهرة ١٩٥٧م ، ص١٥ –ص٤٩ ، عبد الرحمن بدوي ، فلسفة العصور الوسطى ،ط . القاهرة ١٩٦٢م ،ص١٥–ص٢١.، إسحق عبيد ، الإمبراطورية الرومانية بين الدين والبربرية مع دراسة لكتاب مدينة الله للقديس اوغسطين ، ط. القاهرة ١٩٧٥ م .

(١٤) – قاسم عبده قاسم ، ماهية الحروب الصليبية ،ط. الكويت ١٩٩٣م ، ص٣٧ .

(١٥)– نفسه ،ص٣٨ . عن رؤية القديس اوغسطين للحرب المقدسة بالتفصيل أنظر:

H.Russell , Just war in The Middle ages Cambridge 1975, pp.15- 26.

(١٦) قاسم عبده قاسم ، الخلفية الأيديولوجية للحروب الصليبية ،ط. القاهرة ١٩٨٣م ، ص١٧.

(١٧) نفسه ، ص ١٠ ، محمد مؤنس عوض ، تاريخ الحرب الصليبية ، التنظيمات الدينية الحربية في مملكة بيت المقدس اللاتينية (القرنين ٦–٧هـ / ١٢– ١٣م)،ط. رام الله ٢٠٠٤م ،ص٢٨.

(18) J.Saunders , The Crusade as aHoly War , in J. Brundage, The Crusades, motives andAchievements, Boston 1964,P.54

(19) Tacitus, Germany and its Tribes , in Complete Works of Tacitus, Trans. Church and Brodribb , Columbia 1942,p.710-711.

(٢٠) يوشع براور ، عالم الصليبيين ،ت قاسم عبده قاسم ومحمد أحمد خليفة ،ط. القاهرة ١٩٩٩م ، ص١٢.

(٢١) قاسم عبده قاسم ، الخلفية الأيديولوجية ، ص٢٢ ، محمد مؤنس عوض ،تاريخ الحروب الصليبية التنظيمات الدينية الحربية ،ص٢٨.

(٢٢) محمد مؤنس عوض ، نفس المرجع والصفحة .

(23) H.E.J. Cowdrey , The Genessis of The Crusde, in The Holy war , Ohio State 1977, p.19.

(٢٤) قاسم عبده قاسم ، ماهية الحروب الصليبية ، الأيديولوجية – الدوافع – التاريخ ،ط. الكويت ١٩٩٣م ،ص٣٧.

(٢٥) نفسه ، ص٣٨.

(26)H.E.J. Cowdrey , pope Gregory VII and The Bearing of Arms , in Montijoie , Studies in Crusade History, in Honour of Hans Eberhard Mayer , ed , Benjamin Z. kedar , Jonatham Rudolf Hieatand , Varioium 1997,p.27.

(27) Id,p,25.

(٢٨) عن معركة مانزكرت أنظر :

ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، تحقيق أميدروز ،ط. بيروت ١٩٠٨م ، ص ٤٠– ص٤٤ ، اليزدي ، العراضة في الحكاية السلجوقية ، ت . عبد المنعم محمود ،ط. بغداد ، ص ٤٧.

Psellus, Chronographia , in Fifty documents in Medieval History, ed.S. Ashour and H. Rabie , Cairo 1971 , PP. 58- 60.

C.Cahen,"la Campagne de Mantzikert d, apres des Sources musulmans " , B.IX, 1934,PP.613-642.

J. France , Victory in The East ,Cambridge 1996, PP. 152- 193.

فايز نجيب إسكندر ، البيزنطيون والأتراك السلاجقة في معركة ملازكرد (١٠٧١– ٤٦٧هـ) في مصنف نقفور برينيوس – دراسة مقارنة للمصادر ،ط. الإسكندرية ١٩٨٤م ، ص ٧ –ص ١٠، محمد مؤنس عوض ، الإمبراطورية البيزنطية دراسة في تاريخ الأسرة الحاكمة ،ط. القاهرة ٢٠٠٧م ، ص ٣٠٤–ص ٣٠٩ ، محمود الرويضي ومحمد نايف عمايرة ،معركة ملازجرد وأثرها علي العلاقات السلجوقية البيزنطية ، مجلة المنار ، عدد عام ٢٠٥م ، ص ٣ – ص ١٩ ، دونالد نيكول ، معجم التراجم البيزنطية ، ت . حسن حبشي ،ط. القاهرة ٢٠٠٣م ، ص ١٢٢ ، آمال حسن عبد الحافظ ، موقعة مانزيكرت " ملاذكرد " ٤٦٣هـ م ١٠٧١م ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية للبنات بجدة عام ١٩٨٢م (الرسالة العلمية – الوحيدة باللغة العربية المتخصصة في الموضوع المذكور) ، أسمت غنيم معركة مانزكرت في ضوء وثائق بسللوس ، ط. الإسكندرية ١٩٨١م ، أميرة مصطفي أمين، الصراع بين الإمبراطورية البيزنطية والأتراك السلاجقة ٤٦٣هـ / ١٠٧١م ، مقدماته – حوادثه – نتائجه ، وقائع تاريخية ، عدد يوليو ٢٠١٣م ، ص ٥٣– ١٤٠ .

(٢٩) عن مجمع بياكنزا أنظر :

D. Munto , " Did The Emperor Alexius I ask for aid at The Council of piacenza ?", A. H. R. XX VII, 1922, PP. 731- 733.

جوناثان رايلي سميث ، الحملة الصليبية الأولي وفكرة الحروب الصليبية ، ت . محمد فتحي الشاعر ،ط. القاهرة ١٩٩٩م ، ص ٣٤ . محمد مؤنس عوض ، تاريخ الصليبيات الصراع العالمي في العصور الوسطي ،ط. القاهرة ٢٠١١م ، ص ٧٧.نجيب اسطفان ، صراعات الكنيسة وسقوط القسطنطينية ، ط. دمشق ٢٠١١م ، ص١٧٨–ص ١٧٩.

(٣٠) أنظر روايته :

Fulcher of Chartres, A History of The Expedition to Jerusalem , Trans . Frances Rita Ryan (Sisters of St. Joseph) , Tennesse 1969, PP.62- 65.

(٣١) عن رواية روبرت الراهب أنظر :

Robert The Monk , in E. peters, The First Crusade ,The Chronitle of Fulcher of Chartres and other Source Materials , Philadelphia 1971,Pp. 1-4.

(٣٢) عن رواية بولدريك الدولي أنظر :

Baldric of Dol, in peters , The First Crusade , PP. 6-10.

(٣٣) عن رواية جيلبرت النوجنتي أنظر :

Guilbert of Nogent , in peters, The First Crusade, PP. 10-13.

(٣٤) عن رواية مؤرخ الجستا المجهول أنظر :

مجهول ، أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس ، ت . حسن حبشي ،ط. القاهرة ١٩٧٠م ، ص ١٧– ص ١٨.

(35) N. Christie and D. Gerish , Parallel preachings : Urban II and al - Sulami , P.140 .

(36) Id,P. 140 .

(37 Id,P. 140 .

(38) Id,P. 140 .

(39) Id,P. 140 .

ومن المهم هنا إيراد ما ذكره المؤرخ الفرنسي شالندون عندما قرر أن الكتاب المعاصرين لخطاب البابا أوربان الثاني في كلير مونت

إنما يعكسون في كتاباتهم التصور السائد لدى المعاصرين عن الحروب الصليبية ، وهذا لا يمثل فعلياً ما قاله البابا ، عن ذلك أنظر :

F. Chalandon, Histoire de la Premiere Croisade Jacque a L, election de Godfroi de Bouillon , Paris 1935, P-38.

ويقرر جوناثان رايلي سميث أننا لا نثق كثيراً في روايات أربعة من شهود العيان كتبوا خطبة أوربان في مجمع كلير مون وكلها من الذاكرة بعد ١٠٩٩م ، عن ذلك أنظر :

جوناثان رايلي سميث ، الحملة الصليبية الأولي ، ص ٣٥.

(40) N. Christie and D. Gerish , P.140

(٤١) أنظر :

Sayers , London 1977.The Song of Roland , Trans

محمد مؤنس عوض ، تاريخ الصليبيات ، ص ٤٠ .

(٤٢) نفسه ، ص ٧٩.

(٤٣) نفسه ، نفس الصفحة .

(٤٤) إسحق عبيد ، روما وبيزنطة من قطيعة فوشيوس حتى الغزو اللاتيني لمدينة قسطنطين ، ط. القاهرة ١٩٧٠م ، ص ٨٥ .

(٤٥) عن الحج المسيحي عصر الحروب الصليبية وما بعدها انظر :

Palestine Pilgrims Text Society, 13 Vols , London 1890-1897.

محمد مؤنس عوض ، فصول ببليوغرافية في تاريخ الحروب الصليبية ،ط. القاهرة ١٩٩٦م، ص ٤١، هنادي السيد محمود ، حركة الحج إلي مملكة بيت المقدس الصليبية في القرنين ١٢ ،١٣ ميلادي ،ط. القاهرة ٢٠١٣م ، إبراهيم سعيد ، حركة الحج الأوروبي إلي الماكن المقدسة في الشرق الأدني الإسلامي (١٢٩١- ١٥١٧م / ٦٩٠-٩٢٣هـ) ، ط. الإسكندرية ٢٠٠٨م .

H. Janin, Four paths to Jerusalem (Jewish , Christan, Muslim and Secular pilgrimages (1000 t0 2001),London 2002.

لا أغفل هنا الإشارة إلي قيام عدد من المؤرخين الفلسطينيين بترجمة أغلب أعمال أولئك الرحالة الذين زاروا فلسطين عصر الحروب الصليبية وهم ا.د. سعيد البيشاوي رائد المدرسة التاريخية الفلسطينية لذلك العصر ، وفؤاد الدويكات ، وجلال حسني سلامة ، وعبد الرحمن المغربي، وقد تم تزويدها بتلك الترجمات بتعليقات علمية ثرية ، عن ذلك أنظر: سعيد البيشاوي وتيسير جبارة ، أعلام من فلسطين – معجم المؤرخين الفلسطينيين في القرن العشرين ،ط. رام الله ٢٠١٠م ، ص١٠٤، ص٢٠٩،ص ٢١٣، ص٢٧٦.

(٤٦) عن ذلك بالتفصيل أنظر :

N.Cahn, The pursuit of The Millennium: Revolutionary Millenarians and Mystical Anarchists of The Middle Ages, London 1957.

(٤٧) عن سلاح المعلومات لدي الصليبيين أنظر : رينيه جروسيه ، ملحمة الحروب الصليبية ، ت. سامية نجيب ،ط . بيروت ٢٠٠٧م ، ص ٢٢ –ص ٢٣، محمد مؤنس عوض ، سلاح المعلومات ودوره في تاريخ الصليبيين خلال المرحلة ١٠٩٥ م إلي ١١٨٧م ، مجلة بحوث الشرق الأوسط ، العدد (٢٨) مارس ٢٠١١م ، ص ١١ – ص ٤٦.

(48) Caffaro , De liberation CivitatumOrientis Liber , R. H. C.,Hist .Occ., T. V,P.47.

نقلاً عن : مصطفي الكناني ، المؤرخ الجنوي كفارو الكاسيكفلوني سيرته وأعماله وقيمتها التاريخية، ندوة التاريخ الإسلامي والوسيط ، ق (٣) عام ١٩٨٥م ، ص ٣٥٩- ص ٣٦٠.

(٤٩)عن النظام الإقطاعي في الغرب الأوروبي في العصور الوسطي أنظر :

M. Block, Feudal Society , London 1961.

E. Power, Medieval people , London 1954.

C. Stephenson, Medieval Feudalism , New York 1942.

F. Barlow , The Feudal kingdom of England , 1042- 1216, London 1974.

F. Gauchof , Feudalism , Hong Kong 1976.

H. Mitteis , Feudalism and The German Constitutions Oxford 1948.

إسحاق عبيد ، الفرسان والأقنان في مجتمع الإقطاع ،ط. بني غازي ١٩٧٥م ، محمود سعيد عمران، حضارة أوروبا في العصور الوسطي، ط. الإسكندرية ٢٠١١م ، ص ٥٧- ص٨٨، سعيد عاشور ، أوروبا العصور الوسطي، النظم والحضارة، ط. القاهرة ١٩٨٦م، ص٢٥٥- ص ٢٧٣.

(٥٠) عن الأصل اللغوي لكلمة الجهاد أنظر : ابن منظور ، لسان العرب المحيط ،ط. بيروت ب- ت ، م(١) ، ص ٥٢٠- ص ٥٢١ ، المقري الفيومي ، المصباح المنير ،ط. القاهرة ١٩٢٦ ، ص ١٥٥ ، عبد الرؤوف شلبي ، الجهاد في سبيل الله ،ط. القاهرة ب-ت ، ص ٩ ، محمد محمد علي، الجهاد في الشريعة الإسلامية ،ط. القاهرة ١٩٧٣م ، ص١١ ، محمد عمارة ، الفريضة الغائبة ،ط. القاهرة ١٩٨٢م ، ص ١٨ ، جمال محمود ، الإسلام وقضية السلام والحرب ،ط. القاهرة ١٩٨٠م ، ص ٢٨، ظافر القاسمي ، الجهاد والحقوق الدولية العامة في الإسلام ،ط. بيروت ١٩٨٢م ، ص١١ ، الشيخ الركابي ، الجهاد في الإسلام ،ط. بيروت ١٩٩٧م ، ص ١٥ – ص ١٦.

(٥١) من ذلك قوله تعالي :" واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم " الأنفال (٨)آية (٦٠)

"و جاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله " التوبة (٩) آية (٤١) .

" وجاهدوا في الله حق جهاده " الحج (٢٢) آية (٧٨) .

(٥٢) عن ذلك عن أبي ذر الغفاري رضي الله تعالي عنه قال : " قلت لرسول الله : أي الأعمال أفضل : فقال : الإيمان بالله والجهاد في سبيله " حديث متفق عليه .

وعن الأحاديث الخاصة بالجهاد أنظر : مسلم ، صحيح مسلم ،ط. القاهرة ، جـ٣ ، ص١٣٥٦ – ص ١٤٥٠ ، الترمذي ، سنن الترمذي ، تحقيق أحمد شاكر ومصطفي الحلبي، ط. القاهرة ،جـ٤ ، ص ١٦٧ ، أحمد ضيف الله أبو سمهدان ، ملامح التربية الجهادية في السنة النبوية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، الجامعة الإسلامية بغزة عام ٢٠١٠م .

(٥٣) قال تعالي: " كفو أيديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة " النساء (٤) آية (٧٧) .

(٥٤) قال تعالي:" أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وأن الله علي نصرهم لقدير " الحج (٤) آيات (٣٩-٤١).

(٥٥) قال تعالي :" وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم " البقرة (٢) آية (١٩٠).

(٥٦) قال تعالي : " وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة " ، التوبة (٩) آية (٣٦) .

(٥٧) الإعلام بمناقب الإسلام – تحقيق أحمد عبد الحميد غراب ،ط. القاهرة ١٩٦٧م ، ص ١٢٤.

(٥٨) نفسه ، ص ١٤٧.

(٥٩) الماوردي ، الأحكام السلطانية ،ط. القاهرة ب– ت ، ص ٤١ ، محمود شلتوت ، الإسلام دين وشريعة ،ط. القاهرة ، ص ٤٦٦..

(٦٠) أحمد شلبي ، الجهاد والنظم العسكرية ، الجهاد والنظم العسكرية ،ط. القاهرة ١٩٧٧م ، ص ٦٦ – ص ٦٧.

(٦١) ابن تيمية ، الحسبة في الإسلام ،طز القاهرة ١٤٠٠هـ ،ص ١٧.

(٦٢) النعمان بن حيون ، المجالس والمسايرات ، تحقيق الفقي وشيوخ واليعلاوي ،ط. تونس ١٩٨٠م ، ص ٣٦٧ ، العلي ، الحقائق الخفية عن الشيعة الفاطمية ،ط . القاهرة ١٩٧٠م ، ص ٢٠٥.

(٦٣) كاشف الغطاء ، أصل الشيعة وأصولها ،ط. بيروت ب– ت ص ١٣٢.

(٦٤) النعمان بن حيون ،دعائم الإسلام ، تحقيق فيظي ،ط . القاهرة ١٩٥١م ،جـ١ ، ص ٣٩٩، نفسه ، كتاب الاقتصاد ، تحقيق وحيد ميرزا ،ط. دمشق ١٩٥٣م ، ص٦٧ –ص ٦٨ ، سميرة الليثي ، جهاد الشيعة ،ط. بيروت ١٩٧٦م ، ص ١٣ ، حسن عباس حسن ، الصياغة المنطقية للفكر السياسي الإسلامي ، رسالة دكتوراه ،كلية الاقتصاد والعلوم السياسية ، جامعة القاهرة عام ١٩٨٠م ، ص ٤١٠ ، عبد المنعم ماجد ،العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطي ،ط. بيروت ١٩٦١م ، ص ١٣١، نفسه ، ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها في مصر ،ط. القاهرة ١٩٦٨م ، ص١٢١.

(٦٥) كتاب الجهاد، ضمن كتاب أربعة كتب في الجهاد من عصر الحروب الصليبية، تحقيق سهيل زكار، ط. دمشق ٢٠٠٧م ، ص ١٣.

(٦٦) الكامل في التاريخ ،ط. عمان ب–ت ،ص ١٥٣١– ص ١٥٣٢ .

(٦٧) تقديم سهيل زكار لكتاب الجهاد ، ص ١٣ .

(٦٨) السلمي ، كتاب الجهاد ، ص ٤٥ .

(٦٩) عصام عقلة ويوسف بني ياسين ، كتاب الجهاد للسلمي ، ص ٢٦ ، وعن ذلك أنظر :محمد حسين محاسنة ، تاريخ دمشق في العصر الفاطمي ،ط. دمشق ٢٠٠٨م .

(70) N. Elisseeff , "The Reaction of The Syrian Muslims after The Foundation of The first Latin kingdom of Jerusalem , " in Crusaders and Muslims in The Twelfth - century Syria, P. 165.

(71) Id,P.165.

(72) Id,P. 165.

(73) Id,P. 165.

(٧٤) عواد العلي ، تراث العرب الفكري والعلمي في فلسطين في ظل حكم الإسلامي ، المؤرخ العربي العدد (٢) عام ١٩٧٥م ،ص١٦٣.

(٧٥) أحمد أحمد بدوي ، الحياة العقلية في مصر والشام عصر الحروب الصليبية ،ط. القاهرة ب- ت ، ص١٣٠، صلاح الدين المنجد ، أعلام التاريخ والجغرافيا عند العرب ،ط . بيروت ١٩٦٠م ، ص ١١٣.

(٧٦) ابن شداد ، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ،ط. القاهرة ١٣١٧هـ ، ص ١٧ ، نظيرحسان سعداوي ، المؤرخون المعاصرون لصلاح الدين الأيوبي ، ط. القاهرة ١٩٦٢م ، ص ٢٦.

(٧٧) كلود كاهن ، الشرق والغرب زمن الحروب الصليبية ن ص ٢٨١- ص ٢٨٢.

(٧٨) اعتمدت علي ما أورده لؤي البواعنة فيما يتصل بآراء سيفان ، أنظر ، ص ١٣٩.

(٧٩) عن شرف الدين مودود أنظر : ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، ص ١٧٣ ، ابن الأثير ، التاريخ الباهر في دولة الأتابكة بالموصل ، تحقيق عبد القادر طليمات ،ط. القاهرة ١٩٦٣م ، ص ١٧ ، رشيد الجميلي ، الأمير مودود والحروب الصليبية ٥٠٢- ٥٠٧هـ ، مجلة كلية الآداب - جامعة بغداد ، العدد (١١٤) ، عام ١٩٧١م ، ص ٤٦١ -ص ٤٧٠ ، عبد الغني رمضان ،" شرف الدين مودود "، مجلة كلية الآداب - جامعة الرياض ،م (٤) ، السنة (٤) عام ١٩٧٦- ١٩٧٧م ، ص١٢٩- ص ١٥٠ ، عفاف صبرة " الأمير مودود بن التونكين " ، الدارة ، العدد (١٢ ، السنة (١٢) عام ١٩٨٦م ، ص ١٠٩ - ص ١٢٢ ، عماد الدين خليل ، المقاومة الإسلامية للغزو الصليبي عصر ولاة السلاجقة في الموصل ، ط. الرياض ١٩٨١م ، ص ٩٦ -ص ١٠٨، عصاد الدين عبد الرؤوف ، بلاد الجزيرة في أواخر العصر العباسي ،ط. القاهرة ١٩٧٥م ، ص ١٤١-ص ١٤٥.

H. Fink , " Mawdud of Mosul precursor of Saladin ," M.W XL III , 1933, PP. 18-37. Elisseeff , P. 164.

(80) N. Elisseeff,P.164.

وعن الغزالي أنظر :

السبكي ، طبقات الشافعية الكبرى ،ط. القاهرة ب- ت ، جـ٤ ، ص ١٠١ - ص ١٨٠ ، ابن القنفذ، كتاب الوفيات ، تحقيق عادل نويهض ،ط. بيروت ١٩٨٣م ، ص ١٥ ،كرادوفو، الغزالي .ت. عادل زعيتر ،ط. القاهرة ١٩٥٩م ، سميح عاطف الزين ، الإمام الغزالي ،ط. بيروت ١٩٨٨م ، محيي الدين زعرور ، اللامعقول وفلسفة الغزالي ،ط. ليبيا ١٩٨٣م ، عبد الرحمن بدوي ،مؤلفات الغزالي ، ط. القاهرة ١٩٦١م (دراسة علي جانب كبير من الأهمية) ، مفيدة إبراهيم، أبو حامد الغزالي مربياً، ط. عمان ٢٠١١م ، مجموعة من الباحثين ، مهرجان الغزالي ، ط. دمشق ١٩٦١م ، أبو العطا البقري، اعترافات الغزالي ،ط. القاهرة ١٩٣٤م ، محمد مؤنس عوض ،معجم أعلام عصر الحروب الصليبية ،ط. القاهرة ٢٠١٤م ، مجموعة من الباحثين ، الإمام الغزالي في الذكري المئوية التاسعة لوفاته ،جامعة قطر ،ط. الدوحة ١٩٨٦م ، عبد الباقي سرور ، حجة الإسلام الغزالي ، ط. القاهرة ١٩٦١م ، أحمد الشرباصي ، الغزالي ،ط. بيروت ١٩٧٩م ،يوسف القرضاوي ، الغزالي بين مادحيه ناقديه ،ط. المنصورة ١٩٨٨م ، عبد الحليم محمود ، قضية التصوف - المنقذ من الضلال ،ط. القاهرة ١٩٨٥م ، طاهر المعموري ، الغزالي وعلماء الغرب ،ط. تونس ١٩٩٠م ، فتحي الزغبي ،

منزلة الغزالي في علم الخلاق من خلال كتابه " إحياء علوم الدين " ،حولية كلية أصول الدين والدعوة الإسلامية بطنطا ، العدد (١٥) عام ٢٠٠٤م ص١٠٨٩-ص ١١٨٧ ، خالد طرطوسي، دراسة في المشروع النهضوي عند الإمام الغزالي رحمه الله ، مدخل للتعامل مع الغزالي والإحياء ،ط. دمشق ٢٠١١م .

W. M. Watt, The Faith and paradise of al - Ghazali, Oxford 2000.

F.Mitha , Al- Ghazali and The Ismailis, A Debate on Reason and authority in Medieval Islam, London 2001.

A. Sbuzayd , Al Ghazali on Divine predicates and Their properties, New Delhi 1994.

وما أكثر المؤلفات عن حجة الإسلام أبي حامد الغزالي علي نحو يصعب تماماً حصرها .

(81)S. Runciman , A history of The Crusades, VOI .I , Oxford 1978, Preface .

(٨٢) عن ذلك أنظر :

A.S. Atiya, The Crusades , Historiography and Bibliography, London 1962, H. E. Mayer , Bibliographie zur Geschichte der kreuzz uge , Hannover 1960.

محمد مؤنس عوض ، فصول ببليوغرافية في تاريخ الحروب الصليبية ،ط. القاهرة ١٩٩٦م ، نفسه ، أضواء علي ببليوغرافيا تاريخ الحروب الصليبية – المراجع العربية والمعربة ،ط. رام الله ٢٠١٣م .

(٨٣) مايكل هارت ، محمد رسول الله صلي الله عليه وسلم ت. انيس منصور ،ط. القاهرة ١٩٩٧م ، ص٢٠٥-ص٢٠٧.

(٨٤) عصام عقلة ويوسف بني ياسين ، كتاب الجهاد للسلمي ، ص ٦ .

(٨٥) عن أولئك الباباوات الذين تولوا المنصب البابوي علي مدي القرنين ١٢،١٣م بعد أوربان الثاني انظر :

J.N.D. Kelly,PP.160-206.

(٨٦) عن الكاريزما أنظر :

إيهاب بن حسن ، الفراسة القيادية ،ط. دبي ٢٠٠٩م ، أيمن أبو الروس ، الفراسة والكاريزما ،ط. القاهرة ٢٠١١م ، ممدوحة محمد سلامة ، الكاريزمية – القدرة علي التأثير علي الآخرين ، مجلة علم النفس ، العدد (٤) أبريل- مايو – يونيو ١٩٩٠م ، ص ١٥٨- ص ١٦٤ كيرت

موريتنش ، قوانين الكاريزما ،ط الرياض ٢٠١٢م ، مجدي كامل ، ملوك الكاريزما ،ط. دمشق ٢٠١١م ، ص ٩- ص ٣٤٩ ، أولانج ، الأسرار الجديدة الكاريزما ،ط. الرياض ٢٠١١م ، ص ١- ص ٢٢٨.

(٨٧) عن الاستشراق أنظر :

نجيب العقيقي ، المستشرقون ، ٣ أجزاء ،ط. القاهرة ١٩٦٥م ، إدوارد سعيد ، الاستشراق المعرفة ، السلطة ، الإنشاء ، ت . كمال أبو ديب ،ط. بيروت ٢٠٠١م (دراسة رائدة لمفكر فلسطيني بارز راحل) ،خيري منصور ، الاستشراق والوعي السياسي السالب ، ط. بيروت ٢٠٠١م ، ص ١١ – ص ٥٩ ، عرفان عبد الحميد ، المستشرقون والإسلام ، ط. بيروت ١٩٨٣م، صلاح مطبقاتي ، الاستشراق والاتجاهات الفكرية في التاريخ الإسلامي دراسة تطبيقية علي كتابات برنارد لويس ،ط . الرياض ١٩٩٥م ، ص ١٣ – ص ٥٥٣ ، عفاف صبرة ، المستشرقون ومشكلات الحضارة ،ط . القاهرة ١٩٩٧م ، مجموعة من الباحثين مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، مجلدان ،ط. تونس ١٩٨٥م (من أفضل المؤلفات الجماعية عن الاستشراق) .